# (٥٣١)
# ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

## ذكر تفرّق العساكر عن السلطان مسعود

في هذه السنة، في المحرّم، أذِن السلطان مسعود للعساكر التي عنده ببغداد بالعَود إلى بلادهم، لما بلغه أنّ الراشد باللّه قد فارق أتابك زنكي من الموصل، فإنّه كان يتمسّك بالعساكر عنده خوفاً أن ينحدر به إلى العراق فيملكه عليه، فلمّا أراد أن يأذن للأمير صدقة بن دُبيس، صاحب الحِلّة، زوّجه ابنتَه تمسّكاً به.

وقدِم على السلطان مسعود جماعة من الأمراء الذين حاربوه مع الملك داود منهم البقش السلاحي، وبرسق بن برسق صاحب تُستر، وسُنقر الخُمارتِكين شِحنة هَمَذَان، فرضي عنهم، وأمّنهم، وولى البقش شِحنكيّة بغداد، فعسَف النّاس وظَلَمهم.

وكان السلطان مسعود بعد تفرُّق العساكر عنه قد بقي معه ألف فارس[1]. وتزوّج الخليفة فاطمة خاتون أخت السلطان مسعود في رجب، والصداق مائة ألف دينار، وكان الوكيل في قبول النكاح وزير الخليفة عليّ بن طِراد الزينبيّ، والوكيل عن السلطان وزيره الكمال الدركزينيّ، ووثّق السلطان حيث صار الخليفة وصدقة بن دُبيس بن صدقة صهريه، وحيث سار الراشد باللّه من عند زنكي الأتابك[2]، واللّه أعلم.

## ذكر عزل بهرام عن وزارة الحافظ ووزارة رضوان

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين

(١) أنظر: المنتظم ١٠/٦٧ (١٧/٣٢١، ٣٢٢).

(٢) المنتظم ١٠/٦٧ (١٧/٣٢١)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١٦١، دول الإسلام ٢/٥٣، تاريخ الإسلام (٥٣١ هـ) ص٢٠٠، البداية والنهاية ١٢/٢١١، الكواكب الدرية ١٠٧، تاريخ الخميس ٢/٤٠٥.

اللّه العلويّ صاحب مصر، وكان قد استوزره بعد قتل ابنه حسن سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وكان نصرانيّاً أرمنيّاً، فتمكّن في البلاد واستعمل الأرمن وعزل المسلمين، وأساء السيرة فيهم وأهانهم هو والأرمن الذين ولّاهم وطمعوا فيهم، فلم يكن في أهل مصر مَن أنِف من ذلك إلاّ رضوان بن الريحينيّ[(١)]، فإنّه لما ساءه ذلك وأقلقه جمع جمعاً كثيراً وقصد القاهرة، فسمع به بهرام، فهرب إلى الصعيد من غير حرب ولا قتال، وقصد مدينة أسوان فمنعه واليها من الدخول إليها وقاتله، فقتل السودان من الأرمن كثيراً؛ فلمّا لم يقدر على الدخول إلى أسوان أرسل [إلى] الحافظ يطلب الأمان، فأمّنه، فعاد إلى القاهرة، فسُجن بالقصر، فبقي مدّة، ثمّ ترهّب وخرج من الحبس.

وأمّا رضوان فإنّه وزر للحافظ ولُقّب بالملك الأفضل، وهو أوّل وزير للمصريّين لُقّب بالملك، ثمّ فسد ما بينه وبين الحافظ فعمل الحافظ في إخراجه، فثار النّاس عليه منتصف شوّال سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائة، وهرب من داره وتركها بما فيها، فنهب النّاس (منها)[(٢)] ما لا يُحدّ ولا يُحصى، وركب الحافظ فسكّن النّاس، ونقل ما بقي في دار رضوان إلى قصره[(٣)].

وأمّا رضوان فإنّه سار يريد الشام يستنجد الأتراك ويستنصرهم، فأرسل إليه الحافظ الأميرَ ابن مَصّال ليردّه بالأمان والعهد أنّه لا يؤذيه، فرجع إلى القاهرة، فحبسه الحافظ عنده في القصر، وقيل إنّه توجّه إلى الشام، وهو الصحيح، وقصد صَرخد فوصل إليها في ذي القعدة ونزل على صاحبها أمين الدولة[(٤)] كمشتكين، فأكرمه وعظّمه، وأقام عنده[(٥)].

ثمّ عاد إلى مصر سنة أربعٍ وثلاثين وخمسمائة، ومعه عسكر، فقاتل المصريّين عند باب النصر وهزمهم، وقتل منهم جماعة كثيرة، وأقام ثلاثة أيّام، فتفرّق عنه كثير

---

(١) في (أ): «ابن الولحي»، وفي (ب): «الولحشي»، وفي الهامش «الزنجي صح».

(٢) من (أ).

(٣) المختصر في أخبار البشر ٣/ ١١، ١٢، أخبار الدول المنقطعة ٩٧، إتعاظ الحنفا ٣/ ١٥٥ ـ ١٦٢ (٥٢٩ ـ ٥٣١ هـ.).

(٤) في (أ): «أمين الدين».

(٥) إتعاظ الحنفا ٣/ ١٧١، ١٧٢، أخبار الدول المنقطعة ٩٩، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٨٣.

ممّن معه، فعزم على العَود إلى الشام، فأرسل إليه الحافظ الأمير ابن مَصّال، فردّه وحبسه عنده في القصر، وجمع بينه وبين عياله[1]، فأقام في القصر إلى سنة ثلاثٍ وأربعين [وخمسمائة]، فنقب الحبس وخرج منه، وقد أُعدّت له خيل، فهرب عليها، وعبر النيل إلى الجيزة فحشد وجمع المغاربة وغيرهم، وعاد إلى القاهرة، فقاتل المصريّين عند جامع ابن طولون وهزمهم، ودخل إلى القاهرة فنزل عند جامع الأقمر، فأرسل إلى الحافظ يطلب منه مالاً ليفرّقه على عادتهم، فإنّهم كانوا إذا وزّروا وزيراً أرسلوا إليه عشرين ألف دينار ليفرّقها، فأرسل إليه الحافظ عشرين ألف دينار، فقسّمها، وكثُر عليه الناس، وطلب زيادة، فأرسل إليه عشرين ألف دينار أُخرى، ففرّقها، فتفرّق النّاس عنه وخفّوا عنده، فإذا الصوت قد وقع، وخرج إليه جمْع كثير من السودان وضعهم الحافظ عليه، فحملوا على غلمانه فقاتلوهم، فقام يركب، فقدّم إليه بعض أصحابه فَرَساً ليركبه، فلمّا أراد ركوبه ضرب الرجل رأسه بالسيف فقتله، وحمل رأسَه إلى الحافظ، فأرسله إلى زوجته، فوُضع في حِجْرها، فألْقته وقالت: هكذا يكون الرجال؛ ولم يستوزر الحافظ بعده أحداً، وباشر الأمور بنفسه إلى أن مات[2].

## ذكر فتح المسلمين حصن وادي ابن الأحمر من الفرنج

وفي هذه السنة، في رجب، سار عسكر دمشق مع مقدّمهم الأمير بزاوش[3] إلى طرابلس الشام، فاجتمع معه من الغزاة المتطوّعة والتركمان أيضاً خلق كثير، فلمّا سمع القمّص صاحبها بقربهم من ولايته سار إليهم في جموعه وحشوده، فقاتلهم وانهزم الفرنج وعادوا إلى طرابلس على صورة سيئة قد قُتل كثير من فرسانهم وشجعانهم، فنهب المسلمون من أعمالهم الكثير[4]، وحصروا حصن وادي ابن الأحمر فملكوه

---

(١) إتعاظ الحنفا ٣/ ١٧٣ (٥٣٤ هـ.)، أخبار الدول المنقطعة ٩٩.

(٢) أخبار الدول المنقطعة ٩٩، إتعاظ الحنفا ٣/ ١٨٢ ـ ١٨٤، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٨٣، نهاية الأرب ٢٨/ ٣٠٤، ٣٠٥، الدرة المضية ٥٢١ (حوادث ٥٣٠ هـ.)، تاريخ الإسلام (٥٤٣ هـ.) ص١٤، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٨١.

(٣) وهو «بزواش» أو «بزواج».

(٤) ذيل تاريخ دمشق ٢٥٨، تاريخ سلاطين المماليك ٢٤٨، العبر ٤/ ٨٤، تاريخ الإسلام (٥٣١ هـ.) ص٢٠٣، المختار من تاريخ ابن الجزري ٤٥٠، تاريخ ابن الفرات ٨/ ٧٩، صبح الأعشى =

عَنْوة ونهبوا ما فيه، وقتلوا المقاتلة، وسبوا الحريم والذرّيّة، وأسروا الرجال فاشتروا أنفسهم بمالٍ جليل، وعادوا إلى دمشق سالمين[1]، والله أعلم.

## ذكر حصار زنكي مدينة حمص

في هذه السنة، في شعبان، سار أتابك زنكي إلى مدينة حمص، وقدَّم إليها صلاح الدين محمّد الياغيسيانيّ، وهو أكبر أمير معه، وكان ذا مكرٍ وحِيَل، أرسله ليتوصّل مع مَن فيها ليسلّموها إليه، فوصل إليها وفيها معين الدين أنَز[2]، وهو الوالي عليها والحاكم فيها، وهو أيضاً أكبر أمير بدمشق وحمص أقطاعه كما سبق ذكره، فلم ينفذ فيه مكره، فوصل حينئذٍ زنكي إليها وحصرها وعاود مراسلة أنز في التسليم غير مرّة، تارةً بالوعد وتارة بالوعيد واحتجّ بأنّها مُلك صاحبه شهاب الدين، وأنّها بيده أمانة ولا يسلّمها إلاّ عن غَلَبَة، فأقام عليها إلى العشرين من شوّال، ورحل عنها من غير بلوغ غرض إلى بَعرين (فحصرها)[3]، وكان منه ومن الفرنج ما نذكره إن شاء الله تعالى[4].

## ذكر مُلك زنكي قلعة بَعرين وهزيمة الفرنج

وفي هذه السنة، في شوّال، سار أتابك زنكي من الموصل إلى الشام وحصر[5] قلعة بَعرين، وهي تُقارب مدينة حماة، وهي من أمنع معاقل الفرنج وأحصنها، فلمّا نزل عليها قاتلها، وزحف إليها، فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم، وساروا في قَضّهم وقضيضهم، وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم، إلى أتابك زنكي ليرحّلوه عن بعرين، فلم يرحل وصبر لهم إلى أن وصلوا إليه، فلقِيهم وقاتلهم أشدّ قتال رآه النّاس، وصبر

---

= ٦/٤٤٩ ـ٤٥١ وقد قُتل في هذا الهجوم كونت طرابلس بونز، ولم يذكر ابن القلانسي ذلك، ولكن القلقشندي يؤكده في (صبح الأعشى)، وكذلك ابن الجزري في المختار من تاريخه، ووليم الصوري في كتابه (تاريخ ما جرى من الأمور وراء البحار). أنظر دراستنا حول هذا الموضوع في كتابنا: تاريخ طرابلس ١/٤٩٦ ـ ٤٩٨.

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٥٨.

(٢) في (أ) و(ب): «أنر».

(٣) من (أ).

(٤) المختصر في أخبار البشر ٢/١٢، ذيل تاريخ دمشق ٢٥٨.

(٥) في (ب): «ثم انتقل عنها وحصر».

الفريقان ثمّ أَجْلَت الوقعة عن هزيمة الفرنج، وأخذتهم سيوف المسلمين من كلّ جانب، واحتمى ملوكهم وفرسانهم بحصن بعرين لقُربه منهم، فحصرهم زنكي فيه، ومنع عنهم كلّ شيء حتى الأخبار، فكان مَن به منهم لا يعلم شيئاً من أخبار بلادهم لشدّة ضبط الطرق وهيبته على جُنده.

ثمّ إنّ القسوس والرهبان دخلوا بلاد الروم وبلاد الفرنج وما والاها مستنفرين[1] على المسلمين، وأعلموهم أنّ زنكي إنّ أخذ قلعة بعرين ومَن فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم في أسرع وقت، وأنّ المسلمين ليس لهم همّة إلاّ قصْد البيت المقدّس، فحينئذٍ اجتمعت النصرانيّة وساروا على الصعب والذّلُول، وقصدوا الشام، وكان منهم ما نذكره.

وأمّا زنكي فإنّه جَدّ في قتال الفرنج، فصبروا وقلّت عليهم الذخيرة، فإنّهم كانوا غير مستعدّين، ولم يكونوا يعتقدون[2] أنّ أحداً يقدم عليهم، بل كانوا يتوقّعون مُلك باقي الشام، فلمّا قلّت الذخيرة أكلوا دوابّهم، وأذعنوا بالتسليم ليؤمّنهم، ويتركهم يعودون إلى بلادهم، فلم يُجِبهم إلى ذلك، فلمّا سمع باجتماع من بقي من الفرنج، ووصول من قرُب إليهم أعطى لمن في الصحن الأمان، وقرّر عليهم خمسين ألف دينار يحملونها إليه، فأجابوه إلى ذلك، فأطلقهم فخرجوا وسلّموا إليه، فلمّا فارقوه بلغهم اجتماع مَن اجتمع بسببهم، فندموا على التسليم حيث لا ينفعهم الندم، وكان لا يصلهم شيء من الأخبار البتّة، فلهذا سلّموا.

وكان زنكي في مدّة مُقامه عليهم قد فتح المعرّة وكفرطاب من الفرنج فكان أهلهما وأهل سائر الولايات التي بين حلب وحماة مع أهل بعرين في الخزْي، لأنّ الحرب بينهم قائمة على ساق، والنهب والقتل لا يزال بينهم، فلمّا ملكها أمِن النّاس، وعمرت البلاد وعظُم دُخلها، وكان فتحاً مبيناً، ومَن رآه علم صحّة قولي.

ومن أحسن الأعمال وأعدلها ما عمله زنكي مع أهل المعرّة، فإنّ الفرنج لما ملكوا المعرّة كانوا قد أخذوا أموالهم وأملاكهم، فلمّا فتحها زنكي الآن حضر مَن بقي من[3] أهلها ومعهم أعقاب مَن هلك، وطلبوا أملاكهم، فطلب منهم كتبها، فقالوا: إنّ

---

(١) في (أ): «ليستنفرونهم»، وفي (ب): «يستنفرونهم»،
(٢) في الأوربية: «يعتقدوا».
(٣) في (ب): «من بقي من أعقاب».

الفرنج أخذوا كلّ ما لنا، والكتب التي للأملاك فيها. فقال: اطلبوا دفاتر[١] حلب وكلّ مَن عليه خراج على ملك يسلّم إليه؛ ففعلوا ذاك، وأعاد على النّاس أملاكهم، وهذا من أحسن[٢] الأفعال وأعدها[٣].

## ذكر خروج ملك الروم من بلاده إلى الشام

قد تقدّم أنّ الفرنج أرسلوا إلى ملك القُسطنطينية يستصرخون به ويعرّفونه ما فعله زنكي فيهم، ويحثّونه على لحاق البلاد قبل أن تُملك، ولا ينفعه حينئذٍ المجيء، فتجهزّ وسار مُجِدّاً فابتدأ وركب البحر وسار إلى مدينة أنطاليّة[٤]، وهي له على ساحل البحر، فأرسَى فيها، وأقام ينتظر وصول المراكب التي فيها أثقاله وسلاحه، فلمّا وصلت سار عنها إلى مدينة نيقية وحصرها، فصالحه أهلها على مالٍ يُؤدّونه إليه.

وقيل: بل ملكها وسار عنها إلى مدينة أَذَنَة، ومدينة المصّيصة، وهما بيد ابن ليون الأرمنيّ، صاحب قلاع الدروب، فحصرهما وملكهما.

ورحل إلى حين زَربة فملكها عَنْوةً، وملك تلّ حمدون، وحمل أهله إلى جزيرة قبرس، وعبر ميناء الإسكندرونة، ثم خرج إلى الشام فحصر مدينة أنطاكية في ذي القعدة، وضيّق على أهلها، وبها صاحبها الفرنجيّ ريمُنْد، فتردّدت الرسل بينهما، فتصالحا ورحل عنها إلى بغْراص[٥]، ودخل منها بلد ابن ليون الأرمنيّ، فبذل له ابن ليون أموالاً كثيرةً ودخل في طاعته، واللّه أعلم[٦].

---

(١) في (ب): «دفاتر ديوان».

(٢) في (ب): «أحسن ما يدون عن ملك».

(٣) تاريخ حلب للعظيمي ٣٨٨، ذيل تاريخ دمشق ٢٥٩، زبدة الحلب ٢/ ٢٦١، نهاية الأرب ٢٧/ ١٣٢، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٢، الدّرة المضية ٥٢٥، ٥٢٦، العبر ٤/ ٨٤، تاريخ الإسلام (٥٣١ هـ.) ص٢٠٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤١، تاريخ ابن سباط ١/ ٦٦.

(٤) في الأوربية: «أنطاكية» وهو تحريف.

(٥) بغراص = بغراس.

(٦) تاريخ حلب ٣٨٨ (٥٠)، ذيل تاريخ دمشق ٢٥٨، تاريخ الزمان ١٥٣، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٢، الدّرة المضيّة ٥٢٥، تاريخ الإسلام (٥٣١ هـ.) ص ٢٠٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤١، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٢.

## ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في الرابع والعشرين من أيار، ظهر بالشام سحاب أسود أظلمت له الدنيا، وصار الجوّ كاللّيل المظلم، ثمّ طلع بعد ذلك سحاب أحمر كأنّه نار أضاءت له الدنيا، وهبّت ريح عاصف ألقت كثيراً من الشجر، وكان أشدّ ذلك بحوران، ودمشق، وجاء بعده مطر شديد وبَرَد كبار.

وفيها عاد مؤيّد الدين أبو الفوارس المسيّب بن عليّ بن الحسين المعروف بابن الصوفي من صَرْخَد إلى دمشق. وكان قد أُخرج هو وأهله من دمشق إلى صرخد، فبقوا فيها إلى الآن، وعادوا، وولي أبو الفوارس الرئاسة بدمشق، وكان محبوباً عند أهلها، وتمكّن تمكُّناً عظيماً، وكان ذا رئاسة عظيمة ومروءة ظاهرة[١].

وفيها كثرت الأمراض ببغداد[٢]، وكثُر الموت فجأة بأصفهان وهَمَذان.

وفيها سار أتابك زنكي إلى دقُوقا فحصرها وملكها بعد أن قاتل على قلعتها قتالاً شديداً.

## [الوفيات]

وفيها توفّي أبو سعيد أحمد بن محمّد بن ثابت الخُجَنْديّ[٣] رئيس الشافعيّة بأصفهان، وتفقّه على والده، ودرّس بالنظاميّة بأصفهان.

وتوفّي أبو القاسم هبة اللّه بن أحمد بن عمر الحريري[٤]، ومولده يوم عاشوراء سنة خمسٍ وثلاثين وأربعمائة، وهو آخر مَن روى عن أبي الحسن زوج الحرّة. وقد روى الخطيب أبو بكر بن ثابت عن زوج الحرّة أيضاً، وكانت وفاة الخطيب سنة ثلاثٍ وستّين وأربعمائة.

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٦١، ٢٦٢.
(٢) المنتظم ١٠/٦٨ (١٧/٣٢٣).
(٣) أنظر عن (الخجندي) في: تاريخ الإسلام (٥٣١ هـ.) ص٢٣٢، ٢٣٣ رقم ٧ وفيه مصادر ترجمته.
(٤) أنظر عن (الحريري) في: تاريخ الإسلام (٥٣١ هـ.) ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠ رقم ٥٢ وفيه مصادر ترجمته.

# (٥٣٢)
# ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

## ذكر مُلك أتابك زنكي حمص وغيرها من أعمال دمشق

وفي هذه السنة، في المحرّم، وصل أتابك زنكي إلى حماة، وسار منها إلى بقاع بعلبكّ، فملك حصن المجدل، وكان لصاحب دمشق، وراسله مستحفظ بانياس وأطاعه، وهو أيضاً لصاحب دمشق، وسار إلى حمص فحصرها، وأدام قتالها؛ فلمّا نازل ملك الروم حلب رحل عنها إلى سلميّة، فلمّا انجلت حادثة الروم، على ما ذكرناه، عاود منازلة حمص، وأرسل إلى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب إليه أُمّه ليتزوّجها، واسمها زُمُرّد خاتون، ابنة جاولي، وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك، وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق المُطِلّة على وادي شقرا ونهر بردى، فتزوّجها، وتسلّم حمص مع قلعتها.

وحُملت الخاتون إليه في رمضان، وإنّما حمله على التزوج[1] بها ما رأى من تحكُّمها في دمشق فظنّ أنّه يملك البلد بالاتّصال بها، فلمّا تزوّجها خاب أمله ولم يحصل على شيء فأعرض عنها[2].

## ذكر وصول ملك الروم إلى الشام
## ومُلكه بُزاعة وما فعله بالمسلمين

قد ذكرنا سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة خروج ملك الروم من بلاده، واشتغاله

---

(١) في الأوربية: «التزويج».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ٢٦٣، تاريخ حلب ٣٨٨، زبدة الحلب ٢/٢٦٣، ٢٦٤، نهاية الأرب ٢٧/١٣٣، المختصر في أخبار البشر ٣/١٢، الدرة المضية ٥٢٦، تاريخ الإسلام (٥٣٢ هـ.) ص ٦٧، الكواكب الدرّية ١٠٨.

بالفرنج وابن ليون، فلمّا دخلت هذه السنة وصل إلى الشام، وخافه النّاس خوفاً عظيماً، وقصد بُزاعة فحصرها، وهي مدينة لطيفة على ستّة فراسخ من حلب، فمضى جماعة من أعيان حلب إلى أتابك زنكي وهو يحاصر حمص، فاستغاثوا به واستنصروه، فسيّر معهم كثيراً من العساكر، فدخلوا إلى حلب ليمنعوها من الروم إن حصروها.

ثمّ إنّ ملك الروم قاتل بُزاعة، ونصب عليها منجنيقات، وضيّق على مَن بها فملكها بالأمان في الخامس والعشرين من رجب، ثمّ غدر بأهلها فقتل منهم وأسر وسبَى. وكان عدّة مَن جُرح فيها من أهلها خمسة آلاف وثمانمائة نفس، وتنصّر قاضيها وجماعة من أعيانها نحو أربع مائة نفْس.

وأقام الروم بعد مُلكها عشرة أيّام يتطلّبون مَن اختفى، فقيل لهم: إنّ جمعاً كثيراً من أهل هذه الناحية قد[1] نزلوا إلى المغارات، فدخّنوا عليهم، وهلكوا في المغاور[2].

ثمّ رحلوا إلى حلب فنزلوا على قُوَيْق ومعهم الفرنج الذين بساحل الشام، وزحفوا إلى حلب من الغد في خيلهم ورَجْلهم، فخرج إليهم أحداث حلب، فقاتلوهم[3] قتالاً شديداً، فقُتل من الروم وجُرح خلق كثير، وقُتل بطريقٌ جليل القدر عندهم، وعادوا خاسرين، وأقاموا ثلاثة أيّام، فلم يروا فيها طمعاً، فرحلوا إلى قلعة الأثارب، فخاف مَن فيها من المسلمين، فهربوا عنها تاسع شعبان، فملكها الروم، وتركوا فيها سبايا بُزاعة والأسرى، ومعهم جمْع من الروم يحفظونهم ويحمون القلعة وساروا، فلمّا سمع الأمير أسوار بحلب ذلك رحل فيمن عنده من العسكر إلى الأثارب، فأوقع بمن فيها من الروم، فقتلهم، وخلّص الأسرى والسبْي، وعاد إلى حلب.

وأمّا عماد الدين زنكي فإنّه فارق حمص وسار إلى سَلَمِيّة فنازلها، وعبر ثَقَله الفرات[4] إلى الرَّقَة، وأقام جريدةً ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة.

---

(١) في (أ): «من أهلها قد».

(٢) في الأوربية: «المغائر».

(٣) في الأوربية: «فقاتلهم».

(٤) في الأوربية: «الفراة».

وأمّا الروم فإنّهم قصدوا قلعة شَيزر، فإنّها من أمنع الحصون، وإنّما قصدوها لأنّها لم تكن لزنكي، فلا يكون له في حفظها الاهتمام العظيم، وإنّما كانت للأمير أبي العساكر سلطان بن عليّ بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانيّ، فنازلوها وحصروها، ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقاً، فأرسل صاحبها إلى زنكي يستنجده، فسار إليه فنزل على نهر العاصي بالقرب منها، بينها وبين حماة، وكان يركب كلّ يوم ويسير إلى شيزر هو وعساكره، ويقفون بحيث يراهم الروم، ويُرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم.

ثمّ إنّه أرسل إلى ملك الروم يقول له: إنكم قد تحصّنتم مني بهذه الجبال، فانزلوا منها إلى الصحراء حتى نلتقي، فإنْ ظفرتُ بكم أرَحْتُ المسلمين منكم، وإنْ ظفرتم استرحتم وأخذتم شيزر وغيرها. ولم يكن له بهم قوّة، وإنّما كان يُرهبهم بهذا القول وأشباهه، فأشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافّته، وهوّنوا أمره عليه، فلم يفعل، وقال: أتظنّون أنّه ليس له من العسكر إلاّ ما ترون؟ إنّما هو يريد أن تلقوه[1] فيجيئه من نجدات المسلمين ما لا حدّ له.

وكان زنكي يرسل أيضاً إلى ملك الروم يوهمه بأن فرنج الشام خائفون منه، فلو فارق مكانه لتخلّوا عنه، ويرسل إلى فرنج الشام يخوّفهم من ملك الروم ويقول لهم: إنْ ملك بالشام حصناً واحداً ملك بلادكم جميعاً؛ فاستشعر كلٌّ من صاحبه، فرحل ملك الروم عنها في رمضان، وكان مُقامه عليها أربعة وعشرين يوماً، وترك المجانيق وآلات الحصار بحالها، فسار أتابك [زنكي] يتبع ساقة العسكر، فظفر بكثير ممّن تخلّف منهم، وأخذ جميع ما تركوه.

ولما كان الفرنج على بُزاعة أرسل زنكي القاضي كمال الدين أبا الفضل محمّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري إلى السلطان مسعود يستنجده، ويطلب العساكر، فمضى إلى بغداد، وأنهى الحال إلى السلطان، وعرّفه عاقبة الإهمال، وأنّه ليس بينه وبين الروم إلاّ أن يملكوا حلب وينحدروا مع الفرات[2] إلى بغداد، فلم يجد عنده حركة، فوضع إنساناً من أصحابه، يوم جمعة، فمضى إلى جامع القصر، ومعه جماعة من رنود العجم، وأمر أن يثور بهم إذا صعِد الخطيب المببر، ويصيح ويصيحوا معه:

---

(١) في الأوربية: «تلقونه».

(٢) في الأوربية: «الفراة».

وا إسلاماه، وا دين محمّداه! ويشقّ ثيابه، ويرمي عمامته من رأسه، ويخرج إلى دار السلطان والنّاس معه يستغيثون كذلك؛ ووضع إنساناً آخر يفعل بجامع السلطان مثله.

فلمّا صعد الخطيب المنبر قام ذلك الرجل ولطم رأسه، وألقى عمامته، وشقّ ثوبه، وأولئك معه، وصاحوا، فبكى النّاس وتركوا الصلاة، ولعنوا السلطان، وساروا من الجامع يتبعون الشيخ إلى دار السلطان، فوجدوا النّاس في جامع السلطان كذلك، وأحاط الناس بدار السلطان يستغيثون ويبكون، فخاف السلطان، فقال: أَحضِروا إليّ ابن الشهرزوري، فأُحضر، فقال كمال الدين: لقد خفتُ منه ممّا رأيتُ، فلمّا دخلتُ عليه قال لي: أيّ فتنة أثرتَ؟ فقلتُ: ما فعلتُ شيئاً. أنا كنتُ في بيتي، وإنّما النّاس يغارون للدين والإسلام، ويخافون عاقبة هذا التواني؛ فقال: اخرج إلى النّاس ففرّقهم عنّا، واحضر غداً، واختر من العسكر من تريد؛ ففرّقتُ النّاس، وعرّفتهم ما أمر به من تجهيز العساكر، وحضرتُ من الغد إلى الديوان، فجهّزوا لي طائفة عظيمة من الجيش، فأرسلتُ إلى نصير الدين بالموصل أعرّفه ذلك، وأخوّفه من العسكر إنْ طرقوا البلاد، فإنّهم يملكونها، فأعاد الجواب يقول: البلاد لا شكّ مأخوذة، فلأنْ يأخذها المسلمون خيرٌ من أن يأخذها الكافرون.

فشرعنا في التحميل للرحيل، وإذْ قد وصلني كتاب أتابك زنكي من الشام يخبر برحيل ملك الروم، ويأمرني بأن لا أستصحب من العسكر أحداً، فعرّفتُ السلطان ذلك فقال: العسكر قد تجهّز، ولا بدّ من الغزاة إلى الشام، فبعد الجهد وبذل الخدمة العظيمة له ولأصحابه أعاد العسكر.

ولما عاد ملك الروم عن شيزر مدح الشعراء أتابك زنكي وأكثروا، فمن ذلك ما قاله المسلم بن خضر بن قُسَيْم الحموي من قصيدة أوّلها:

بعَزْمِك[1] أيّها المَلكُ العَظيمُ ... تذلُّ لكَ الصّعابُ وَتَستَقيمُ

ومنها:

ألم تَرَ أنّ كَلبَ الرّومِ لَمّا ... تَبَيّنَ أنّهُ المَلِكُ الرّحيمُ
فجاء يُطَبّقُ الفَلَواتِ خَيلاً ... كأنّ الجَحْفلَ اللّيلُ البهيمُ

(١) في المختصر لأبي الفداء «العزمك».

وَقَـدْ نَـزَلَ الـزَّمـانُ علـى رِضَـاهُ | وَدانَ لخَطبِـهِ الخَطْـبُ العَظيـمُ
فحيـنَ رَمَيتَـهُ بـكَ فـي[1] خَميسٍ | تَيَقَّـنَ أنّ ذلـكَ لا يَـدُومُ[2]
وَأبصـرِ فـي المَفـاضَـةِ منـكَ جَيشـاً | فـأحـرَبَ لا يَسيـرُ وَلا يُقيـمُ
كـأنَّـكَ فـي العَجـاجِ شهـابُ نـورٍ | تـوَقَّـدَ وَهْـوَ شَيطـانٌ رَجيـمُ
أرَادَ بَقـاءَ مُهجَتِـهِ فَـوَلّـى | وَليـسَ سـوَى الحِمـام لـه حَميـمُ

وهي قصيدة طويلة، ومن عجيب ما يُحكى أنّ ملك الرّوم لما عزم على حصر شيزر سمع مَن بها ذلك، فقال الأمير مرشد بن عليّ أخو صاحبها وهو يفتح مصحفاً: اللهمّ بحقّ مَن أنزلْتَه عليه، إنْ قضيت بمجيء ملك الروم فاقبضني إليك! فتوفّي بعد أيّام[3].

## ذكر الحرب بين السلطان مسعود والملك داود ومَنْ معه من الأمراء

لما فارق الراشد باللّه أتابك زنكي من الموصل سار نحو أذربيجان، فوصل مَراغة، وكان الأمير مَنْكُبِرس[4] صاحب فارس، ونائبه بخوزستان الأمير بوزابة، والأمير عبد الرحمن طغايرك صاحب خلخال، والملك داود ابن السلطان محمود، مستشعرين من السلطان [مسعود]، خائفين منه، فتجمّعوا ووافقوا الراشد على الاجتماع معهم لتكون أيديهم واحدة، ويرّدوه إلى الخلافة، فأجابهم إلى ذلك، إلاّ أنّه لم يجتمع معهم.

ووصل الخبر إلى السلطان مسعود وهو ببغداد باجتماعهم، فسار عنها في شعبان

---

(١) في المختصر لأبي الفداء «عن».
(٢) في المختصر لأبي الفداء «تيقّن فوت ما أمسى يروم».
(٣) الاعتبار لابن منقد ٢، ٩٢، ١١٣ تاريخ حلب ٣٩٣ (٥٢)، ذيل تاريخ دمشق ٢٦٤، ٢٦٥، المنتظم ١٠/ ٧٢ (١٧/ ٣٢٧) التاريخ الباهر ٥٥، ٥٦، الروضتين ٨١، ٨٢، زبدة الحلب ٢/ ٢٦٤، ٢٦٥، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٦٤، نهاية الأرب ٢٧/ ١٣٤ ـ ١٣٦، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٢، ١٣، الدّرة المضية ٥٢٨، تاريخ الإسلام (٥٣٢ هـ.) ص ٢٠٧، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٢، تاريخ ابن سباط ١/ ٦٧، ٦٨، أما ملك الروم هنا فهو: يوحنّا الثاني كالوجوهانيز (٥١٢ ـ ٥٣٨ هـ./ ١١١٨ ـ ١١٤٣ م.).
(٤) في (أ): «منكوبرس»، وهو أشبه بالمُثبَت.

نحوهم، فالتقوا ببنجن كشت[١]، فاقتتلوا، فهزمهم السلطان مسعود، وأخذ الأمير مَنْكُبِرس أسيراً فقُتل بين يديه صبراً، وتفرّق عسكر مسعود في النهب واتّباع المنهزمين.

وكان بوزابة وعبد الرحمن طغايرك على نَشزٍ من الأرض، فرأيا السلطان مسعوداً وقد تفرّق عسكره عنه، فحملا عليه وهو في قلّة فلم يثبت لهما وانهزم، وقبض بوزابة على جماعة من الأمراء، منهم: صدقة بن دُبيس صاحب الحِلّة، ومنهم ولد أتابك قراسُنقر صاحب أذربيجان، وعنتر بن أبي العسكر وغيرهم وتركهم عنده. فلمّا بلغه قتل صاحبه مُنْكُبِرس قتلهم أجمعين، وصار[٢] العسكران مهزومين، وكان هذا من أعجب الاتّفاق[٣].

وقصد السلطان مسعود أذربيجان، وقصد الملك داود همذان، ووصل إليها الراشد بعد الوقعة، فاختلفت آراء الجماعة، فبعضهم أشار بقصد العراق والتغلّب عليه، وبعضهم أشار باتّباع السلطان مسعود للفراغ منه، فإنّ ما بعده يهون عليهم. وكان بوزابة أكبر الجماعة فلم يرَ ذلك، وكان غرضُه المسير إلى بلاد فارس وأخْذها بعد قتل صاحبها منكُبِرس قبل أن يمتنع مَن بها عليه، فبطّل عليهم ما كانوا فيه، وسار إليها فملَكها، وصارت له مع خُوزستان.

وسار سلجوقشاه ابن السلطان محمّد إلى بغداد ليملكها، فخرج إليه البقش الشِحنة بها ونظرُ الخادم أمير الحاجّ وقاتلوه ومنعوه، وكان عاجزاً مستضعفاً، ولما قُتل صدقة بن دُبيس أقرّ السلطان مسعود الحِلّة على أخيه محمّد بن دُبيس، وجعل معه مهلهل بن أبي العسكر[٤] أخا عنتر المقتول يدبّر أمره.

ولما كان البقش شِحنة بغداد يُقاتل سلجوقشاه ثار العيّارون ببغداد ونهبوا الأموال، وقتلوا الرجال، وزاد أمرهم حتى كانوا يقصدون أرباب الأموال ظاهراً، ويأخذون منهم ما يريدون، ويحملون الأمتعة على رؤوس الحمّالين، فلمّا عاد الشِحنة قتل منهم وصلب، وغَلَت الأسعار، وكثُر الظلم منه، وأخذ المستورين بحجّة العيّارين، فجلا النّاس عن بغداد إلى الموصل وغيرها من البلاد.

---

(١) في (ب): «بفنجن أكشت».
(٢) في الأوربية: «وصارا».
(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/١٣، نهاية الأرب ٢٧/٤٤، تاريخ دولة آل سلجوق ١٧١.
(٤) في نهاية الأرب ٢٧/٤٥ «ابن أبي العشاير».

## ذكر قتل الراشد بالله

لما وصل الراشد بالله إلى همذان، وبها الملك داود وبوزابه ومَن معهما من الأمراء والعساكر بعد انهزام السلطان مسعود وتفرُّق العساكر، على ما تقدّم ذكره، سار الراشد بالله إلى خوزستان مع الملك داود، ومعهما خُوارزم شاه، فقاربا الحُوَيزة، فسار السلطان مسعود إلى بغداد ليمنعهم عن العراق، فعاد الملك داود إلى فارس، وعاد خُوارزم شاه إلى بلاده، وبقي الراشد وحده، فلمّا أيس من عساكر العجم سار إلى أصفهان.

فلمّا كان الخامس والعشرون من رمضان وثب عليه نفر من الخُراسانيّة الذين كانوا في خدمته، فقتلوه وهو يريد القيلولة، وكان في أعقاب مرض وقد برىء منه، ودُفن بظاهر أصفهان بشهرستان، فركب مَن معه فقتلوا الباطنيّة.

ولما وصل الخبر إلى بغداد جلسوا للعزاء به في بيت النوبة يوماً واحداً[1]. وكان أبيض أشقر، حسن اللون مليح الصورة، مهيباً شديد القوّة والبطش.

قال أبو بكر الصولّي: النّاس يقولون إنّ كلّ سادس يقوم بأمر النّاس من أوّل الإسلام لا بُدّ من أن يُخلع، وربّما قُتل. قال: فتأمّلتُ ذلك، فرأيتُه كما قيل، فإنّ أوّل من قام بأمر هذه الأمّة محمّد رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، ثمّ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، والحسن، رضي اللّه عنهم، فخُلع، ثمّ معاوية ويزيد ابنه، ومعاوية بن يزيد، ومروان، وعبد الملك بن مروان، وعبد اللّه بن الزبير، فخُلع وقُتل؛ ثم الوليد بن عبد الملك، وأخوه سليمان، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد، وهشام ابنا عبد الملك، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، فخُلع وقُتل؛ ثمّ لم ينتظم أمر بني أميّة؛ ثمّ وليَ السفّاح، والمنصور، والمهديّ، والهادي، والرشيد، والأمين، فخُلع وقُتل؛ والمأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكّل، والمنتصر، والمستعين، فخُلع وقُتل؛ والمعتزّ، والمهتدي، والمعتمد، والمعتضد، والمكتفي، والمقتدر، فخُلع، ثمّ رُدّ، ثمّ قُتل؛ ثمّ القاهر، والراضي، والمتّقي، والمستكفي، والمطيع، والطائع، فخُعل؛ ثمّ القادر، والقائم، والمقتدي، والمستظهر، والمسترشد، والراشد، فخُلع وقُتل[2].

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٣، ١٤.

(٢) تاريخ الإسلام (٥٣٢ هـ.) ص ٣٠٣.

قلتُ: وفي هذا نظرٌ، لأنّ البيعة لابن الزبير كانت قبل البيعة لعبد الملك بن مروان، وكونه جعله بعده لا وجه له، والصولّي إنّما ذكر إلى أيّام المقتدر باللّه، ومَن بعده ذكره غيره[1].

## ذكر حال ابن بكران العيّار

في هذه السنة، في ذي الحجّة، عظُم أمر ابن بكران العيّار بالعراق، وكثُر أتباعه، وصار يركب ظاهراً في جمْع من المفسدين، وخافه الشريف أبو الكَرَم الوالي ببغداد، فأمر أبا القاسم ابن أخيه حامي باب الأزج أن يشتدّ عليه ليأمن شرّه.

وكان ابن بكران يُكثِر المقام بالسواد، ومعه رفيق له يُعرف بابن البزّاز[2]، فانتهَى أمرهما إلى أنّهما أرادا أن يضربا باسمهما سكّة في الأنبار، فأرسل الشِحنة والوزير شرف الدين الزينبيّ إلى الوالي أبي الكَرَم وقالا: إمّا أن تقتل ابن بكْران، وإمّا أن نقتلك؛ فأحضر ابن أخيه وعرّفه ما جرى، وقال له: إمّا أن تختارني ونفسك، وإمّا أن تختار ابن بكران؛ فقال: أنا أقتله. وكان لابن بكران عادة يجيء في بعض اللّيالي إلى ابن أخي أبي الكَرَم، فيقيم في داره، ويشرب عنده، فلمّا جاء على عادته وشرب، أخذ أبو القاسم سلاحه ووثب به فقتله وأراح النّاس من شرّه، ثمّ أخذ، بعده بيسير، رفيقه ابن البزّاز[3]، وصُلب، وقُتل معه جماعة من الحراميّة، فسكن النّاس واطمأنّوا، وهَدَأت الفتنة[4].

## ذكر قتل الوزير الدركزينيّ ووزارة الخازن

في هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره العماد أبي البركات بن سلمة الدركزيني، واستوزر بعده كمال الدين محمّد بن الحسين الخازن، وكان الكمال شهماً، شجاعاً، عادلاً، نافذ الحُكم، حَسَن السيرة، أزال المكوس ورفع المظالم،

---

(١) أنظر تعليق الحافظ الذهبي أيضاً في: تاريخ الإسلام (٥٣٢ هـ.) ص٣٠٣، ٣٠٤، وانظر عن (الراشد) فيه، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٤، رقم ١١٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) في (أ): «البزار».

(٣) في (أ): «البزار».

(٤) أنظر: المنتظم ١٠/ ٧٢ (٣٢٧،٣٢٨).

وكان يقيم مؤونة السلطان ووظائفه، وجمع له خزائن كثيرة، وكشف أشياء كثيرة كانت مستورة يُخان فيها ويُسرق، فثقل على المتصرّفين وأرباب الأعمال، فأوقعوا بينه وبين الأمراء، لا سيّما قراسنقر صاحب أذربيجان، فإنّه فارق السلطان وأرسل يقول: إمّا أن تنقذ رأس الوزير، وإلاّ خدمنا سلطاناً آخر، فأشار مَن حضر من الأمراء بقتله، وحذّروه فتنة لا تُتلافَى، فقتله على كُرهٍ منه، وأرسل رأسه إلى قراسنقر فرضي. وكانت وزارته سبعة أشهر، وكان قتله سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائة.

ووزر بعده أبو العزّ طاهر بن محمّد البروجرديّ وزير قراسنقر، ولُقّب عزّ الملك، وضاقت الأمور على السلطان مسعود، واستقطع الأمراء البلاد بغير اختياره، ولم يبقَ له شيء من البلاد البتّة إلاّ اسم السلطنة لا غير[١].

## ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ملك حسام الدين تَمِرتاش إيلغازي، صاحب ماردين، قلعة الهتّاخ[٢] من بلاد ديار بكر، أخذها من بعض بني مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها، وهذا آخر مَن بقي منهم له ولاية[٣]، فسبحان الحيّ الدائم الذي لا يزول مُلكه ولا يتطرّق إليه النقص ولا التغيير.

وفيها انقطعت كسوة الكعبة، لما ذكرناه من الاختلاف، فقام بكسوتها رامُشْت التاجر الفارسيُّ، كساها من الثياب الفاخرة[٤] بكلّ ما وُجد إليه سبيل، فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر ألف دينار مصريّة؛ وهو من التجّار المسافرين إلى الهند كثير المال[٥].

وفيها توفّيت زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارُق، زوج السلطان مسعود، وتزوّج بعدها سفري ابنة دُبيس بن صدقة في جُمادى الأولى، وتزوّج ابنة قاورت[٦]، وهو من

---

(١) نهاية الأرب ٢٧/ ٤٥، ٤٦، تاريخ دولة آل سلجوق ١٦٩، ١٧٠، و١٧٣.

(٢) في المختصر لأبي الفداء «الهناخ» بالنون.

(٣) المختصر ٣/ ١٤.

(٤) في (أ): «الثياب الحبرة».

(٥) أنظر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (بتحقيقنا) ١/ ٥٣٠.

(٦) في (أ): «أيضاً ابنة قاورد».

البيت السلجوقيّ، إلاّ أنّه كان لا يزال يعاقر الخمر ليلاً ونهاراً، فلهذا سقط اسمه وذكره[1].

وفيها قتل السلطان مسعود ابن البُقْش السلاحيّ شِحنة بغداد، وكان قد ظلم النّاس وعسفهم، وفعل ما لم يفعله غيره من الظلم، فقبض عليه، وسيّره إلى تكريت، فسجنه بها عند مجاهد الدين بهروز، ثمّ أمر بقتله، فلمّا أرادوا قتله ألقى بنفسه في دجلة فغرق، فأُخذ رأسه وحُمل إلى السلطان[2]، وجعل السلطان شِحنة العراق مجاهد الدين بهروز، فعمل أعمالاً صالحةً منها: أنّه عمل مسنّاة النهروان وأشباهها، وكان حَسَن السيرة، كثير الإحسان.

وفيها درّس الشيخ أبو منصور بن الرزّاز بالنظاميّة ببغداد.

وأرسل إلى أتابك زنكي في إطلاق قاضي القضاة الزينبيّ، فأُطلق وانحدر إلى بغداد، فخلع عليه الخليفة وأقرّه على منصبه.

وفيها كان بخُراسان غلاء شديد طالت مّدته، وعظُم أمره، حتى أكل النّاس الكلاب والسنانير وغيرهما من الدوابّ، وتفرّق أكثر أهل البلاد من الجوع.

وفيها توفّي طُغان أرسلان[3] صاحب بدليس[4]، وأرزن، من ديار بكر [ووليَ بعده ابنه فرني[5]]، واستقام[6] له الأمر.

وفيها، في شهر صفر، جاءت زلزلة عظيمة بالشام، والجزيرة، وديار بكر، والموصل، والعراق، وغيرها من البلاد، فخربت كثيراً منها، وهلك تحت الهدم عالم كثير[7].

---

(١) المنتظم ١٠/ ٧٢ (١٧/ ٣٢٧،٣٢٨)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٦٤، تاريخ الإسلام (٥٣٢ هـ.) ص ٢٠٥،٢٠٦، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٣، عيون التواريخ ١٢/ ٣٣٤.

(٢) المنتظم ١٠/ ٧٤ رقم ٩١ (١٧/ ٣٣٠ رقم ٤٠٣٧)، تاريخ الإسلام (٥٣٢ هـ.) ص٢٠٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٣ وفيه اسمه «البخشي»، نهاية الأرب ٢٧/ ٤٦.

(٣) أنظر عن (طغان) في: الأعلاق الخطيرة ج ٨ ق ٢/ ٣٤١، ذيل تاريخ دمشق ٢٦٧.

(٤) في الباريسية: «ماردين».

(٥) في ذيل تاريخ دمشق «قرتي» بالقاف.

(٦) في (أ): «واستقر».

(٧) المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٤، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٢، كشف الصلصلة ١٨٣.

## [الوفيات]

وفيها توفّي أحمد بن محمّد بن (أحمد أبو بكر بن)[1] أبي الفتح الدِّينَوَريّ الفقيه الحَنبليّ ببغداد، وكان ينشد كثيراً هذه الأبيات:

تمنّيتَ أنْ تُمسي[2] فَقيهاً مناظراً بغَيرِ عيَاء وَالجُنُون فُنُونُ
ولَيسَ اكتسابُ المالِ دونَ مشقّةٍ تلَقّيتَها فالعلمُ كيفَ يكونُ

وفيها توفّي محمّد بن عبد الملك بن عمر أبو الحسن الكرجيُّ[3]، ومولده سنة ثمانٍ وخمسين وأربعمائة، وكان فقيهاً مُحدّثاً سمع الحديث بكرْخ، وأصفهان، وهَمَذان، وغيرها.

وفي شعبان منها توفّي القاضي أبو العلاء صاعد بن الحسين بن إسماعيل بن صاعد، وهو ابن عمّ القاضي أبي سعيد، ووليَ القضاء بنَيسابور بعد أبي سعيد.

---

(١) في طبعة صادر ١١/٦٦ «محمد بن أبي بكر بن»، والمثبت عن (أ) وعن مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٥٣٢ هـ.) ص ٢٦٨، ٢٦٩ رقم ٦٦.

(٢) في المطبوع من المنتظم ١٠/٧٣، (١٧/٢٣٩): «تسمى».

(٣) في طبعة صادر ١١/٦٦ «الكرخي»، والتصويب من، الأنساب ١٠/٣٨١ وفيه: «الكرَجي» بفتح الكاف والراء، والجيم في آخرها، هذه النسبة إلى الكرَج، وهي بلدة من بلاد الجبل بين إصبهان وهمذان. ثم ذكره، وانظر عنه في: تاريخ الإسلام (٥٣٢ هـ.) ص ٢٩٤ ـ ٢٩٦ رقم ١٠٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

## (٥٣٣)

# ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

### ذكر الحرب بين السلطان سنجر وخُوارزْم شاه

في هذه السنة، في المحرَّم، سار السلطان سنجَر بن ملكشاه إلى خُوارزم محارباً لخُوارزم شاه أتسِز بن محمّد. وسبب ذلك أنّ سنجَر بَلَغَه أنّ أتسِز يحدّث نفسه بالامتناع عليه وترْك الخدمة له، وأنّ هذا الأمر قد ظهر على كثيرٍ من أصحابه وأمرائه، فأوجب ذلك قصْده وأخْذ خُوارزم منه، فجمع عساكره وتوجّه نحوه، فلمّا قرُب من خُوارزم خرج خُوارزم شاه إليه في عساكره، فلقيه مقابلاً، وعَبّأ كلّ واحدٍ منهما عساكره وأصحابه، فاقتتلوا، فلم يكن للخُوارزميّة قوّة بالسلطان، فلم يثبتوا، وولّوْا منهزمين، وقُتل منهم خَلق كثير، ومن جملة القتلى ولد لخُوارزم شاه، فحزن عليه أبوه حُزْناً عظيماً، ووجد وجْداً شديداً.

وملك سنجَر خُوارزم، وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ولد أخيه محمّد، ورتّب له وزيراً وأتابكاً وحاجباً، وقرّر قواعده، وعاد إلى مرو في جُمادى الآخرة من هذه السنة، فلمّا فارق خُوارزم عائداً انتهز خُوارزم شاه الفرصة فرجع إليها، وكان أهلها يكرهون العسكر السنجَريّ ويُؤْثرون عورة خُوارزم شاه، فلمّا عاد أعانوه على مُلك البلد، ففارقهم سليمان شاه ومن معه، ورجع إلى عمّه السلطان سنجَر، وفسد الحال بين سنجَر وخُوارزم شاه، واختلفا بعد الاتّفاق، ففعل خُوارزم شاه في خُراسان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ما نذكره إن شاء اللّه[1].

---

(١) حبيب السير لخواندمير ٢/ ٦٣١، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٨٤، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٨٥.

## ذكر قتل محمود صاحب دمشق ومُلك أخيه محمّد

في هذه السنة، (في شوّال)[1]، قُتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طُغدِكين، صاحب دمشق، على فراشه غِيلةً، قتله ثلاثة من غلمانه هم خواصّه وأقرب النّاس منه في خلْوته وجلْوته. وكانوا ينامون عنده ليلاً فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا، فنجا أحدهم وأُخذ الآخران فصُلِبا.

وكتب من بدمشق إلى أخيه جمال الدين محمّد بن بوري صاحب بَعْلَبَكّ، وهو بها، بصورة الحال واستدعوه ليملك بعد أخيه، فحضر في أسرع وقت، فلمّا دخل البلد جلس للعزاء بأخيه، وحلف له الجُند وأعيان الرعيّة، وسكن النّاس، وفوّض أمر دولته إلى معين الدين أُنُز، مملوك جدّه، وزاد في عُلُوّ مرتبته، وصار هو الجملة والتفصيل؛ وكان أُنُز خيّراً عاقلاً حسن السيرة، فجرت الأمور عنده على أحسن نظام[2].

## ذكر مُلك زنكي بَعْلَبَكّ

في هذه السنة، في ذي القعدة، سار عماد الدين أتابك زنكي بن آقسنقر إلى بَعْلَبَكّ، فحصرها ثمّ ملكها؛ وسب ذلك أنّ محموداً صاحب دمشق لما قُتل كانت والدته زُمُرّد خاتون عند أتابك زنكي بحلب، قد تزوّجها، فوجدت لقْتل ولدها وجْداً شديداً، وحزنت عليه، وأرسلت إلى زنكي وهو بديار الجزيرة تعرّفه الحادثة، وتطلب منه أن يقصد دمشق ويطلب بثأر ولدها. فلمّا وقف على هذه الرسالة بادر في الحال من غير توقّف ولا تريّث، وسار مُجِدّاً ليجعل ذلك طريقاً إلى مُلك البلد، وعبر الفرات[3] عازماً على قصد دمشق، فاحتاط من بها، واستعدّوا، واستكثروا من الذخائر، ولم يتركوا شيئاً ممّا يحتاجون إليه إلاّ وبذلوا الجهد في تحصيله، وأقاموا

---

(١) من (أ).

(٢) تاريخ حلب ٣٩٤، ذيل تاريخ دمشق ٢٦٨، ٢٦٩، زبدة الحلب ٣/ ٢٧٢، الأعلاق الخطيرة ٢/ ٤٦، نهاية الأرب ٢٧/ ١٣٧، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٤، الدّرة المضية ٥٢٩، تاريخ الإسلام (٥٣٣ هـ.) ص ٦٩، مرآة الجنان ٣/ ٢٦١، عيون التواريخ ١٢/ ٣٤٣، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٥، الكواكب الدرّية ١٠٩، مآثر الإنافة ٢/ ٤٠، تاريخ ابن سباط ١/ ٦٩.

(٣) في الأوربية: «الفراة».

ينتظرون وصوله إليهم، فتركهم وسار إلى بَعْلَبَكّ.

وقيل: كان السبب في مُلكها أنّها كانت لمعين الدين أُنُز، كما ذكرناه، وكان له جارية يهواها، فلمّا تزوّج أمّ جمال الدين سيّرها إلى بَعْلَبَكّ، فلمّا سار زنكي إلى الشام عازماً على قصد دمشق سيّر إلى أُنُز يبذل له البذول العظيمة ليسلّم إليه دمشق، فلم يفعل.

وسار أتابك إلى بَعْلَبَكّ فوصل إليها في العشرين من ذي الحجّة من السنة، فنازلها في عساكره، وضيّق عليها، وجَدّ في محاربتها، ونصب عليها من المنجنيقات أربعة عشر عدداً ترمي ليلاً ونهاراً، فأشرف مَن بها على الهلاك، وطلبوا الأمان، وسلّموا إليه المدينة، وبقيت القلعة وبها جماعة من شجعان الأتراك، فقاتلهم، فلمّا أَيِسوا من معين ونصير طلبوا الأمان فأمّنهم، فسلّموا إليه القلعة، فلمّا نزلوا منها وملكها غدر بهم وأمر بصلبهم، فصُلبوا ولم ينجُ منهم إلاّ القليل، فاستقبح النّاس ذلك من فعله واستعظموه، وخافه غيرهم وحَذَرُوه، لا سيّما أهل دمشق فإنّهم قالوا: لو مَلَكَنا لفعل بنا مثل فعله بهؤلاء؛ فازدادوا نفوراً وجدّاً في محاربته.

ولما ملك زنكي بَعْلَبَكّ أخذ الجارية التي كانت لمعين الدين أُنُز بها، فتزوّجها بحلب، فلم تزل بها إلى أن قُتل، فسيّرها ابنه نور الدين محمود إلى معين الدين أُنُز، وهي كانت أعظم الأسباب في المودّة بين نور الدين وبين أُنُز، والله أعلم[1].

## ذكر استيلاء قراسنقر على بلاد فارس وعَوده عنها

وفي هذه السنة جمع أتابك قراسُنقر صاحب أَذَرْبيجان عساكر كثيرة وحشد، وسار طالباً بثأر أبيه الذي قتله بوزابة في المصافّ المقدّم ذكره، فلمّا قارب السلطان مسعوداً أرسل إليه يطلب منه قتْل وزيره الكمال، فقتله كما ذكرناه، فلمّا قُتل سار قراسنقر إلى بلاد فارس، فلمّا قاربها تحصّن بوزابة منه في القلعة البيضاء، ووطىء

---

(١) تاريخ حلب ٣٩٥ (٥٤) حوادث ٥٣٤ هـ.، التاريخ الباهر ٥٩، ذيل تاريخ دمشق ٢٦٩، زبدة الحلب ٢/ ٢٧٢، الروضتين ٨٦، مفرّج الكروب ١٠/ ٨٦، نهاية الأرب ٢٧/ ١٣٧، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٤، ١٥، الأعلاق الخطيرة ٢/ ٤٦، ٤٧، تاريخ مختصر الدول ٢٠٦، الدرة المضية ٥٢٩، تاريخ الإسلام (٥٣٣ هـ.) ص ٢١٠، ٢١١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٣، الكواكب الدرّية ١٠٩، عيون التواريخ ١٢/ ٣٤٣، تاريخ ابن سباط ١/ ٧٠.

قراسنقر البلاد، وتصرّف فيها، وليس له فيها دافعٌ ولا مانعٌ، إلاّ أنّه لم يُمكنه المُقام، وملك [المدن] التي في فارس، فسلّم[1] البلاد إلى الملك سلجوقشاه ابن السلطان محمود وقال له: هذه البلاد لك فاملك الباقي؛ وعاد إلى أَذَربيجان، فنزل حينئذٍ بوزابة من القلعة سنة أربعٍ وثلاثين [وخمسمائة]، وهزم سلجوقشاه وملك البلاد، وأَسر سلجوقشاه وسَجنه في قلعة بفارس.

## ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في صفر توفّي الوزير شرف الدين أنوشروان[2] بن خالد معزولاً ببغداد، وحضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه، ودُفن في داره، ثمّ نقل إلى الكوفة، فدُفن في مشهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، عليه السلام. وكان فيه تشيّعٌ، وهو كان السبب في عمل «المقامات الحريريّة»، وكان رجلاً عاقلاً، شهْماً، ديِّناً، خيِّراً، وزر للخليفة المسترشد، وللسلطان محمود، وللسلطان مسعود، وكان يستقيل من الوزارة فيجاب إلى ذلك، ثمّ يُخطب إليها فيجيب كارهاً.

وفيها قدِم السلطان مسعود بغداد في ربيع الأوّل، وكان الزمان شتاء، وصار يُشتّي بالعراق، ويصيّف بالجبال، ولما قدِمَها أزال المكوس، وكتب الألواح بإزالتها، ووُضعت على أبواب الجوامع وفي الأسواق، وتقدّم أن لا ينزل جنديّ في دار عاميّ من أهل بغداد (إلاّ بإذْن)[3]، فكثُر الدعاء له والثناء عليه، وكان السبب في ذلك الكمال الخازن وزير السلطان[4].

وفيها، في صفر، كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد، وكان أشدّها بالشام، وكانت متوالية عدّة ليال، كلّ ليلة عدّة دفعات، فخرب كثير من البلاد، لا سيّما حلب، فإنّ أهلها لما كثُرت عليهم فارقوا بيوتهم، وخرجوا [إلى] الصحراء، وعدّوا ليلة واحدة جاءتهم ثمانين مرّة، ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع

---

(١) في (أ): «المقام بتلك الحصون فسلم»، وفي (ب): «وملك الحصون».

(٢) يرد «أنوشروان» و«نوشروان». أنظر عنه في: تاريخ الإسلام (٥٣٣ هـ.) ص ٣٠٤ ـ ٣٠٦ رقم ١٢٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) من (أ).

(٤) المنتظم ١٠/ ٧٨ (١٧/ ٣٣٥)، تاريخ الإسلام (٥٣٣ هـ.) ص ٢٠٩.

صفر إلى التاسع عشر منه، وكان معها صوت وهزّة شديدة[١].

وفيها أغار الفرنج على أعمال بانياس، فسار عسكر دمشق في أثرهم، فلم يدركوهم فعادوا.

## [الوفيات]

وفيها توفّي أبو القاسم زاهر بن طاهر الشّحاميّ[٢] النيسابوريّ بها، ومولده سنة ستّ وأربعين وأربعمائة، وكان إماماً في الحديث، مُكثِراً، عالي الإسناد.

وتوفّي عبد اللّه بن أحمد[٣] بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف أبو القاسم ابن أبي الحسين البغداديّ بها، ومولده سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

وعبد العزيز بن عثمان بن إبراهيم أبو محمّد الأسديّ[٤] البخاريّ، كان قاضي بخارى، وكان من الفقهاء أولاد الأئمّة، حَسَن السيرة.

وتوفّي محمّد بن شُجاع بن أبي بكر بن عليّ بن إبراهيم اللّفْتُوانيّ[٥] الأصفهاني بأصفهان في جُمادى الآخرة، ومولده سنة سبعٍ وتسعين وأربعمائة، وسمع الحديث الكثير بأصفهان، وبغداد، وغيرهما[٦].

---

(١) تاريخ حلب ٣٩٤ (٥٤)، ذيل تاريخ دمشق ٢٦٨ و٢٧٠، زبدة الحلب ٢/ ٢٧٠، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٥، الدرّة المضية ٥٢٩، تاريخ الإسلام (٥٣٣ هـ.) ص ٢١١، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٢ (حوادث ٥٣٢ هـ.)، عيون التواريخ ١٢/ ٣٣٤ (٥٣٢ هـ.)، الكواكب الدرية ٦٠٩، كشف الصلصلة ١٨٤، تاريخ ابن سباط ١/ ٧٠.

(٢) أنظر عن (زاهر الشحّامي) في: تاريخ الإسلام (٥٣٣ هـ.) ص ٣١٦ ـ٣١٩ رقم ١٣٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) أنظر عن (عبد الله بن أحمد) في: تاريخ الإسلام (٥٣٣ هـ.) ص٣٢٢، ٣٢٣ رقم ١٤٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) أنظر عن (الأسدي) في: المنتظم ١٠/ ٨٠ رقم ١٠٤ (١٧/ ٣٣٧، ٣٣٨ رقم ٤٠٥١)، وتاريخ الإسلام (٥٣٣ هـ.) ص ٣٢٥ رقم ١٥١.

(٥) اللّفْتُواني: بفتح اللام، وسكون الفاء، وضم التاء. (هكذا في الأنساب)، وفي معجم البلدان بفتح التاء المثنّاة، نسبة إلى لفتوان، قرية من قرى أصبهان.
وانظر عنه في: تاريخ الإسلام (٥٣٣ هـ.) ص ٣٣٤،٣٣٥ رقم ١٦٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) في الأوربية: «وغيرها».

# (٥٣٤)
# ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

## ذكر حصار أتابك زنكي دمشق

في هذه السنة حصر أتابك زنكي دمشق مرّتين، فأمّا المرّة الأولى فإنّه سار إليها في ربيع الأوّل من بَعْلَبَكّ بعد الفراغ من أمرها، وتقرير قواعدها وإصلاح ما تشعّث منها، ليحصرها، فنزل بالبقاع، وأرسل إلى جمال الدين صاحبها يبذل له بلداً يقترحه ليسلّم إليه دمشق، فلم يُجِبه إلى ذلك، فرحل وقصد دمشق، فنزل على داريّا ثالث عشر ربيع الأوّل فالتقت الطلائع، واقتتلوا، وكان الظفر لعسكر زنكي، وعاد الدمشقيّون منهزمين، فقُتل كثير منهم.

ثمّ تقدّم زنكي إلى دمشق، فنزل هناك، ولقيه جمْعٌ كثير من جُند دمشق وأحداثها ورجّالة الغوطة، فقاتلوه، فانهزم الدمشقيون، وأخذهم السيف، فقتل فيهم وأكثر، وأسر كذلك، ومَن سلم عاد جريحاً. وأشرف البلد ذلك اليوم على أن يُملك، لكنْ عاد زنكي عن القتال، وأمسك عنه عدّة أيّام، وتابع الرسل إلى صاحب دمشق، وبذل له بَعْلَبَكّ، وحمص، وغيرهما ممّا يختاره من البلاد، فمال إلى التّسليم، وامتنع غيره من أصحابه من ذلك، وخوّفوه عاقبة فِعله، وأن يُغدر به كما غُدر بأهل بَعْلَبَكّ، فلمّا لم يسلّموا إليه عاود القتال والزحف.

ثمّ إنّ جمال الدين صاحب دمشق مرض ومات ثامن شعبان، وطمع زنكي حينئذٍ في البلد، وزحف إليه زحفاً شديداً ظنّاً منه أنّه ربّما يقع بين المقدّمين والأمراء خلاف فيبلغ غرضه، وكان ما أمّله بعيداً، فلمّا مات جمال الدين وليَ بعده مجير الدين أبق ولدهُ، وتولّى تدبير دولته معين الدين أنز، فلم يظهر لموت أبيه أثرٌ مع أنّ عدوّهم على باب المدينة؛ فلمّا رأى أنز أنّ زنكي لا يفارقهم، ولا يزول عن حصرهم، راسل الفرنج، واستدعاهم إلى نصرته، وأن يتّفقوا على منع زنكي عن دمشق، وبذل لهم

بذولاً من جملتها أن يحصر بانياس ويأخذها ويسلّمها إليهم، وخوّفهم من زنكي إن ملك دمشق؛ فعلموا صحّة قوله إنّه إن ملكها لم يبقَ لهم معه بالشام مقام، فاجتمعت الفرنج وعزموا على المسير إلى دمشق ليجتمعوا مع صاحبها وعسكرها على قتال زنكي، فحين علم زنكي بذلك سار إلى حَوْران خامس رمضان، عازماً على قتال الفرنج قبل أن يجتمعوا بالدمشقيّين، فلمّا سمع الفرنج خبره لم يفارقوا بلادهم، فلمّا رآهم كذلك عاد إلى حصر دمشق [ونزل] بعذرا شماليها سادس شوّال، فأحرق عدّة قُرى من المرج والغوطة ورحل عائداً إلى بلاده.

ووصل الفرنج إلى دمشق واجتمعوا بصاحبها وقد رحل زنكي، فعادوا، فسار معين الدين أُنز[١] إلى بانياس في عسكر دمشق، وهي في طاعة زنكي، كما تقدّم ذكرها، ليحصرها ويسلّمها إلى الفرنج؛ وكان واليها قد سار قبل ذلك منها في جمع جمعه إلى مدينة صور للإغارة على بلادها، فصادفه صاحب أنطاكية وهو قاصد إلى دمشق نجدةً لصاحبها على زنكي، فاقتتلا، فانهزم المسلمون وأخذوا والي بانياس فقُتل، ونجا مَن سلم منهم إلى بانياس، وجمعوا معهم كثيراً من البقاع وغيرها، وحفظوا القلعة، فنازلها معين الدين، فقاتلهم، وضيّق عليهم، ومعه طائفة من الفرنج، فأخذها وسلّمها إلى الفرنج.

وأمّا الحصر الثاني لدمشق، فإنّ أتابك لما سمع الخبر بحصر بانياس عاد إلى بعلبكّ ليدفع عنها مَن يحصرها، فأقام هناك. فلمّا عاد عسكر دمشق، بعد أن ملكوها وسلّموها إلى الفرنج، فرّق أتابك زنكي عسكره على الإغارة على حَوْران وأعمال دمشق، وسار هو جريدة مع خواصّه، فنازل دمشق سَحَراً ولا يعلم به أحد من أهلها، فلمّا أصبح النّاس ورأوا عسكره خافوا، وارتجّ البلد، واجتمع العسكر والعامّة على السور وفُتحت الأبواب وخرج الجُند والرجّالة فقاتلوه، فلم يمكن زنكي عسكره من الإقدام في القتال لأنّ عامّة عسكره كانوا قد تفرّقوا في البلاد للنّهب والتخريب، وإنّما قصد دمشق لئلاّ يخرج منها عسكر إلى عسكره وهم متفرّقون، فلمّا اقتتلوا ذلك اليوم قُتل بينهم جماعة ثمّ أحجم زنكي عنهم وعاد إلى خيامه ورحل إلى مرج راهط، وأقام ينتظر عودة عسكره، فعادوا إليه وقد ملأوا أيديهم من الغنائم، لأنّهم طرقوا البلاد

---

(١) في (ب): «أنر»، ويرد هكذا في بعض المصادر.

وأهلها غافلون، فلمّا اجتمعوا عنده رحل بهم عائداً إلى بلادهم[1].

## ذكر مُلك زنكي شهروزر وأعمالها

في هذه السنة ملك أتابك زنكي شهرزور وأعمالها وما يجاورها من الحصون، وكانت بيد قفجاق بن أرسلان تاش التركمانيّ، وكان حكمه نافذاً على قاصي التركمان ودانيهم، وكلمته لا تخالَف، يرون طاعته فرضاً، فتحامى الملوك قصده، ولم يتعرّضوا لولايته لهذا ولأنّها منيعة كثيرة المضايق، فعظم شأنه وازداد جمعه، وأتاه التركمان من كلّ فجّ عميق.

فلمّا كان هذه السنة سيّر إليه أتابك زنكي عسكراً، فجمع أصحابه ولقيهم فتصافّوا واقتتلوا، فانهزم قفجاق واستبيح عسكره، وسار الجيش الأتابكي [في أعقابهم فحصروا الحصون والقلاع فملكوها جميعها وبذلوا الأمان لقفجاق فصار إليهم، وانخرط في سلك العساكر][2]. ولم يزل هو وبنوه في خدمة البيت الأتابكيّ على أحسن قضيّة إلى بعد سنة ستّمائة بقليل وفارقوها[3].

## ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة جرى بين أمير المؤمنين المقتفي لأمر[4] اللّه وبين الوزير شرف الدين عليّ بن طراد الزينبيّ منافرة، وسببها أنّ الوزير كان يعترض الخليفة في كلّ ما يأمر به، فنفر الخليفة من ذلك، فغضب الوزير، ثمّ خاف فقصد دار السلطان في سميرية[5]، وقت الظهر، ودخل إليها واحتمى بها، فأرسل إليه الخليفة في العَود إلى منصبه، فامتنع؛ وكانت الكتب تصدر باسمه، واستنيب قاضي القضاة الزينبيّ، وهو ابن

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٧٠ ـ ٢٧٢، التاريخ الباهر ٥٨، ٥٩، زبدة الحلب ٢/ ٢٧٣، الروضتين ٨٤ ـ ٨٦، نهاية الأرب ٢٧/ ٥٨٨، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٥، الدرّة المضية ٥٣٠، العبر ٤/ ٩٣، تاريخ الإسلام (٥٣٤ هـ.) ص ٢١٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٣، مرآة الجنان ٣/ ٢٦١، دول الإسلام ٢/ ٥٤، عيون التواريخ ١٢/ ٣٥٤، الكواكب الدرية ١١٠، ١١١ تاريخ ابن سباط ١/ ٧١.

(٢) في الباريسية، والنسخة رقم ٧٤٠.

(٣) المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٥.

(٤) في الأوربية: «بأمر».

(٥) في الأوربية: «سمرية».

عمّ الوزير، وأرسل الخليفة إلى السلطان رُسُلاً في معنى الوزير، فأرخص له السلطان في عزله، فحينئذٍ أسقط اسمه من الكتب، وأقام بدار السلطان؛ ثمّ عزل الزينبيّ من النيابة، وناب سديد الدولة بن الأنباريّ[(١)].

وفيها قُتل المقرّب جوهر وهو من خَدَم السلطان سنجَر، وكان قد حكم في دولته جميعها، ومن جملة أقطاعه الرَّيّ، ومن جملة مماليكه عبّاس صاحب الرَّيّ، وكان سائر عسكر السطان سنجَر يخدمونه ويقفون ببابه، وكان قتله بيد الباطنيّة، وقف له جماعة منهم بزيّ النساء واستغثن به، فوقف يسمع كلامهم فقتلوه، فلمّا قُتل جمع صاحبه عبّاس العساكر وقصد الباطنيّة، فقتل منهم وأكثر، وفعل بهم ما لم يفعله غيره، ولم يزل يغزوهم ويقتل فيهم ويخرّب بلادهم إلى أن مات[(٢)].

وفيها زُلْزلت كَنْجَة[(٣)] وغيرها[(٤)] من أعمال أَذَرْبيجان وأرّان، إلاّ أنّ أشدّها كان بكَنْجة، فَخرّب منها الكثير، وهلك عالم لا يُحْصَوْن كَثْرة.

قيل: كان الهلكى مائتَيْ ألف وثلاثين ألفاً، وكان من جملة الهلكى ابنان لقراسنقر صاحب البلاد، وتهدّمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز، وذهب له فيها من الذخائر والأموال شيء عظيم[(٥)].

---

(١) المنتظم ١٠/ ٨٥ (١٨/ ٤)، تاريخ الإسلام (٥٣٤ هـ.) ص ٢١٢.

(٢) تاريخ حلب ٣٩٥، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٥، تاريخ ابن سباط ١١/ ٧١.

(٣) يقال: «كنجة» و«جنزة».

(٤) في (أ): «وأعمالها».

(٥) خبر الزلزلة في: ذيل تاريخ دمشق ٢٦٨، وزبدة التواريخ ٢١٦، وتاريخ الزمان ١٥٤، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٦٨، ١٦٩، ودول الإسلام ٢/ ٥٣ وفيه اسم المدينة «جيزة» وقال محققه بالحاشية: إنها من أعمال حلب، والعبر ٤/ ٩١، وتاريخ الإسلام (٥٣٤ هـ.) ص ٢٠٨، ومرآة الجنان ٣/ ٢٦٠ وفيه تصحّفت إلى «بحيرة»، وفي البداية والنهاية ١٢/ ٢١٥ «جبرت»، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٤٣، والكواكب الدرية ١٠٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٦٤، وكشف الصلصلة ١٨٤، وتاريخ الخلفاء ٤٢٨ وفيه «بحترة»، وشذرات الذهب ٤/ ١٠٢ وفيه «خبزه» و١٠٤ (حوادث ٥٣٤ هـ.).
وقد وقّت أحد مواليد وسكان مدينة كنجة واسمه بختيار غوش هذه الزلزلة في ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١١٣٩ م. وكان شاهداً لها فذكر أنها جرت في شهر أريخ حسب التقويم الأرمني في ١٨ منه، ليلة الجمعة ـ السبت، في يوم عيد القدّيس جرجس أرسل الغضب الإلهي الحاد إلى العالم وغضب الأرض وخراب قوي، تحركت بدفعات قوية وأصابت هذا البلد ـ ألبانيا، وقد خرّبت الهزّة أماكن =

وفيها شرع مجاهد الدين بهروز في عمل النهروانات: سَكَرَ سِكراً عظيماً يردّ الماء إلى مجراه الأوّل، وحفر مجرى الماء القديم، وخرق[1] إليه مَجراة تأخذ[2] من ديالى، ثمّ استحال بعد ذلك وجرى الماء ناحية من السكْر، وبقي السكر في البثر لا ينتفع به أحدٌ، ولم يتعرّض أحدٌ لردّه إلى مجراه عند السكْر إلى وقتنا هذا[3].

وفيها انقطع الغيث ببغداد والعراق، ولم يجىء غير مرّة واحدة في آذار، ثمّ انقطع، ووقع الغلاء، وعُدمت الأقوات بالعراق[4].

وفيها، في جُمادى الآخرة، دخل الخليفة بفاطمة خاتون بنت السلطان مسعود، وكان يوم حملها إلى دار الخليفة يوماً مشهوداً، أُغلقت بغداد عدّة أيّام وزُيّنت[5].

وتزوّج السلطان مسعود بابنة الخليفة المقتفي لأمر الله، وعقد عليها، واستقرّ أن

---

= كثيرة في مناطق باريسوس وخاجن (حالياً: كرباخ) كما في السهول كذلك في الجبال. نتيجة لهذا الزلزال فإن عاصمة غنجاق كذلك كانت في جحيم تبلع سكانها. وفي كل أطراف سطح الأرض أمسكتهم في أحضانها؛ وفي المناطق الجبلية هدم كثير من القلاع والقرى مع الأديرة والكنائس على رؤوس ساكنيها وقُتل خلق لا يُحصى بواسطة الأبنية المهدّمة والأبراج الكثيرة.

ويقول كيراكوس فانزاكيتس أحد سكان كنجة إنه في عام ٥٨٨ (حسب التقويم الأرمني) حدثت هزّة أرضية عنيفة خرّبت مدينة كنجة ودمرت المنازل على ساكنيها، وقد قُتل من جرّاء الهزّة كثير من الرجال والنساء والأولاد، ويصعب حصر الذين بقيوا تحت الركام. (أنظر: زبدة التواريخ ٢١٧ بالحاشية).

وقال البنداري: إن مدينة جنزة وأعمالها قد خُسِف بها ـ وإن الزلزلة قد هدمتها، وإنها خربت حتى كأن الأرض عدمتها، وأن الكفار الأبخازية والكرجية هجمتها، وقد باد من أهلها سقدار ثلاثمائة ألف نفس، فأمرّوا الباقين إلا من احتمى بقلعتها، وأوى إلى قلعتها، وذلك مع تشعّث سورها، وتهدّم دُورها، وأن الأموال نُبشت، وأن الخبايا فُتشت، فأغذّ قراسنقر السير إليها. وكان أيواني ابن أبي الليث ـ لعنه الله ـ مقدّم عسكر الأبخاز قد قرن بالزلزلة الزلازل، وبالنازلة النوازل، وكان قد حمل باب مدينة جنزة، وبنى مدينة سمّاها جنزة، وعلّق عليها ذلك الباب، واغتنم غيبة قراسنقر عن البلاد فسمّاها العذاب، وذلك في سنة ٥٣٣ (تاريخ دولة آل سلجوق ١٧٥، ١٧٦).

(١) في (أ): «الماء ناحية وخرق».

(٢) في (أ): «إليه محوله تأخذ».

(٣) المنتظم ١٠/ ٨٤ (١٨/ ٣).

(٤) المنتظم ١٠/ ٨٦ (١٨/ ٥).

(٥) المنتظم ١٠/ ٨٥ (١٨/ ٣)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٧٣.

يتأخّر زفافها خمس سنين لصِغره[1].

## [الوفيات]

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي القاضي أبو الفضل[2] يحيى ابن قاضي دمشق المعروف بالزكيّ.

(1) المنتظم ١٠/ ٨٥ (٣/١٨)، تاريخ دولة آل سلجوق ١٧٩، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٧٣، تاريخ الإسلام (٥٣٤ هـ.) ص ٢١٢، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٦، عيون التواريخ ١٢/ ٣٥٥، الكواكب الدرّية ١١٠.

(2) انظر عن (القاضي أبي الفضل) في: تاريخ الإسلام (٥٣٤ هـ.) ص ٣٦٣، ٣٦٤، رقم ٢٢٣ وفيه مصادر ترجمته، وفيه أيضاً: «أبو المفضّل»، وفي أغلب المصادر من غير ميم.

# (٥٣٥)

# ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

## ذكر مسير جهار دانكيّ إلى العراق وما كان منه

في هذه السنة أمر السلطان مسعود الأميرَ إسماعيل المعروف بجهاردانكيّ، والبقش كون خَر، بالمسير إلى خُوزستان وفارس وأخذهما من بوزابة، وأطلق لهما نفقة على بغداد، فسارا فيمن معهما إلى بغداد، فمنعهم مجاهد الدين بهروز من دخولها، فلم يقبلوا منه، فأرسل إلى المعابر فخسفها وغرّقها، وجدّ في عمارة السور، وسدّ باب الظفريّة وباب كَلْواذى، وأغلق باقي الأبواب، وعلّق عليها السلاح وضرب الخيام للمقاتلة.

فلمّا علما بذلك عبرا بصَرْصَر، وقصدا الحِلّة، فمُنعا منها، فقصدا واسط، فخرج إليهما الأمير طرنطايّ[١] وتقاتلوا، فانهزم طرنطايّ، ودخلوا واسط فنهبوها ونهبوا بلد فرسان[٢] والنعمانيّة، وانضمّ طرنطايّ إلى حمّاد بن أبي الخير[٣] صاحب البَطِيحة، ووافقهم عسكر البصرة، وفارق إسماعيل والبقش بعض عسكرهما، وصارا مع طرنطايّ، فضعُف أولئك، فسار إلى تُستر، واستشفع إسماعيل إلى السلطان فعفا[٤] عنه.

## ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وصل رسول من السلطان سنجَر، ومعه بُردة النبيّ صلّى اللّه عليه

---

(١) في (أ): «طرمطاي».

(٢) في (أ): «قوسان».

(٣) في (أ): «أبي الجبر».

(٤) في الأوربية: «فعفى».

وسلّم، والقضيب، وكانا قد أُخذا من المسترشد، فأعادهما الآن إلى المقتفي[1].

وفي هذه السنة توفّي أتابك قراسنقر صاحب أذربيجان وأرّانيّة بمدينة أردبيل، وكان مرضه السلّ، وطال به، وكان من مماليك الملك طُغْرل، وسُلّمت أذربيجان وأرّانيّة إلى الأمير جاولي الطُغرليّ. وكان قراسنقر علا شأنه على سلطانه، وخافه السلطان[2].

وفيها كان بين أتابك زنكي وبين داود سقمان بن أرتق، صاحب حصن كيفا، حربٌ شديدةٌ، وانهزم داود بن سقمان، وملك زنكي من بلاده قلعة بهمرد، وأدركه الشتاء فعاد إلى الموصل[3].

وفيها ملك الإسماعيليّة حصن مصيات[4] بالشام، وكان واليه مملوكاً لبني مُنقِذ أصحاب شَيْزَر، فاحتالوا عليه، ومكروا به حتى صعدوا إليه وقتلوه، وملكوا الحصن، وهو بأيديهم إلى الآن[5].

## [الوفيات]

وفيها توفّي سديد الدولة[6] بن الأنباريّ، واستوزر الخليفة بعده نظام الدين أبا

---

(١) المنتظم ١٠/ ٩٠ (١٨/ ١٠)، تاريخ الإسلام (٥٣٥ هـ.) ص٢١٨، عيون التواريخ ١٢/ ٣٦١، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٧، الكواكب الدرّية ١١٢، مآثر الإنافة ٢/ ٣٦، تاريخ ابن سباط ١/ ٧٢، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٥.

(٢) أنظر عن (قراسنقر) في: زبدة التواريخ ٢١٢ ـ ٢١٨، وتاريخ دولة آل سلجوق ١٧٣ ـ ١٧٦، وتايخ الإسلام (٥٣٥ هـ.) ص ٣٨٨ رقم ٢٥٣.

(٣) زبدة الحلب ٢/ ٢٧٦ (حوادث ٥٣٨ هـ.)

(٤) في معجم البلدان ٥/ ١٤٤ «مصياب» (بالباء) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس. وبعضهم يقول: «مِصْياف».
وفي ذيل تاريخ دمشق ٢٧٤ «مصيات» بالثاء المثلّثة، ومثله في: مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٧٧، وفي دول الإسلام ٢/ ٥٤، «ميصاف»، وفي تاريخ الإسلام (٥٣٥ هـ.) ص ٢١٦ كما هو مثبت هنا.
والمشهور الآن «مصياف».

(٥) ذيل تاريخ دمشق ٢٧٤، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٥، دول الإسلام ٢/ ٥٤، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٧، عيون التواريخ ١٢/ ٣٦١، تاريخ الإسلام (٥٣٥ هـ.) ص ٢١٦، الكواكب الدرّية ١١٣، تاريخ ابن سباط ١/ ٧٢.

(٦) تاريخ الإسلام (٥٣٥ هـ.) ص ٢١٦.

نصر المظفّر محمّد بن محمّد بن جَهِير، وكان قبل ذلك أستاذ الدار[1].

وفيها توفّي يرنقش بازدار صاحب قزوين.

وفيها، في رجب، ظفر ابن الدانشمند، صاحب مَلَطية وغيرها من تلك النواحي، بجمْع من الروم فقتلهم[2] وغنِم ما معهم.

وفيها، في رمضان، سارت طائفة من الفرنج بالشام إلى عَسْقلان ليُغيروا على أعمالها، وهي لصاحب مصر، فخرج إليهم العسكر الذي بعسقلان فقاتلهم، فظفر المسلمون وقتلوا من الفرنج كثيراً[3]، فعادوا منهزمين[4].

وفيها بُنيت المدرسة الكماليّة ببغداد؛ بناها كمال الدين أبو الفتوح[5] بن طلحة صاحب المخزن، ولما فرغت درّس فيها الشيخ أبو الحسن بن الخلّ، وحضره أرباب المناصب وسائر الفقهاء.

## [الوفيات]

وفهيا، في رجب، مات القاضي أبو بكر محمّد[6] بن عبد الباقي الأنصاري، قاضي المارِسْتان، عن نيّفٍ وتسعين سنة، وله الإسناد العالي في الحديث، وكان عالماً بالمنطق، والحساب، والهيئة، وغيرها من علوم الأوائل، وهو آخر مَن حدّث في الدنيا عن أبي إسحق البرمكيّ، والقاضي أبي الطيّب الطبريّ، وأبي طالب العشاريّ، وأبي محمّد الجوهريّ، وغيرهم.

وتوفّي الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل[7] بن محمّد بن الفضل الأصفهانيّ

---

(١) المنتظم ١٠/٨٨، (١٨/٨)، تاريخ دولة آل سلجوق ١٧٩، وفيات الأعيان ٤/٣٦٢.

(٢) في الأوربية: «فقتلوهم».

(٣) في «أ»: «جمعاً».

(٤) ذيل تاريخ دمشق ٢٧٣، ٢٧٤، تاريخ الإسلام (٥٣٥ هـ.) ص ٢١٨.

(٥) في (أ): «الفتوح بن علي»، وفي (ب): «الفتوح حمزة بن علي».

(٦) في طبعة صادر ١١/٨٠ «أبو بكر بن محمد»، والتصحيح من: تاريخ الإسلام (٥٣٥ هـ.) ص ٣٩٠ ـ ٣٩٤ رقم ٢٥٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته. والتصحيح أيضاً من (أ).

(٧) أنظر عن (الحافظ إسماعيل) في: تاريخ الإسلام (٥٣٥ هـ.) ص ٣٦٧ ـ ٣٧٣ رقم ٢٢٨ وفيه حشدت مصادره.

عاشر ذي الحجّة، ومولده سنة تسعٍ وخمسين [وأربعمائة]، وله التصانيف المشهورة.

وتوفّي يوسف بن أيّوب[1] بن يوسف بن الحسن أبو يعقوب الهمذانيّ من أهل بروجرد، وسكن مَرْو، وتفقّه على أبي إسحق الشيرازي، وروى الحديث، واشتغل بالرياضات والمجاهدات، ووعظ ببغداد، فقام إليه متفقّه يقال له ابن السقّاء وسأله وَآذاه في السؤال فقال: اسكت، إنّي أشمّ منك ريح الكفر! فسافر الرجل إلى بلد الروم وتنصّر.

وفيها مات أبو القاسم عليُّ بن أفلح[2] الشاعر المشهور.

---

(١) أنظر عن (يوسف بن أيوب) في: تاريخ الإسلام (٥٣٥ هـ.) ص ٣٩٦ ـ ٤٠٠ رقم ٢٦٣ وفيه حشدت مصادره.

(٢) انظر عن (علي بن أفلح) في: تاريخ الإسلام (٥٣٣ هـ.) ص ٣٢٦، ٣٢٧ رقم ١٥٦ وفيه مصادر ترجمته.

# (٥٣٦)
# ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة

## ذكر انهزام السلطان سنجر من الأتراك الخِطا[١] ومُلكهم ما وراء النهر

قد ذكر أصحاب التواريخ في هذه الحادثة أقاويل نحن نذكرها جميعها للخروج من عهدتها، فنقول:

في هذه السنة، في المحرّم، انهزم السلطان سنجَر من الترك الكفّار، وسبب ذلك أنّ سنجَر كان قتل ابناً لخوارزم شاه أتسِز بن محمّد، كما ذكرناه قبل، فبعث خُوارزم شاه إلى الخِطا، وهم بما وراء النهر، يُطمعهم في البلاد، ويروّج عليهم أمرها، وتزوّج إليهم، وحثّهم على قصد مملكة السلطان سنجَر، فساروا في ثلاثمائة ألف فارس، وسار إليهم سنجَر في عساكره، فالتقوا بما وراء النهر، واقتتلوا أشدّ قتال، وانهزم سنجَر في جميع عساكره، وقُتل منهم مائة ألف قتيل، منهم: أحد عشر ألفاً كلّهم صاحب عمامة، وأربعة آلاف امرأة، وأُسرت زوجة السلطان سنجَر، وتمّ سنجَر منهزماً إلى تِرْمِذ، وسار منها إلى بلْخ.

ولما انهزم سنجَر قصد خُوارزم شاه مدينة مرو، فدخلها مراغمة للسلطان سنجَر، وقتل بها، وقبض على أبي الفضل الكرمانيّ الفقيه الحنفيّ، وعلى جماعة من الفقهاء وغيرهم من أعيان البلد.

ولم يزل السلطان سنجَر مسعوداً إلى وقتنا هذا لم تنهزم له راية، ولما تمّت عليه هذه الهزيمة أرسل إلى السلطان مسعود، وأذِن له في التصرّف في الريّ، وما يجري معها على قاعدة أبيه السلطان محمّد، وأمره أن يكون مقيماً فيها بعساكره بحيث إن دعت حاجةٌ استدعاه لأجل هذه الهزيمة، فوصل عبّاس صاحب الرَّيّ إلى بغداد

---

(١) الخِطا: بكسر الخاء المعجمة.

بعساكره، وخدم السلطان مسعوداً خدمة عظيمة، وسار السلطان إلى الريّ امتثالاً لأمر عمّه سنجر.

وقيل: إنّ بلاد تُرْكستان، وهي كاشغَر، وبلاساغون، وختن، وطراز وغيرها ممّا يجاورها من بلاد ما وراء النهر كانت بيد الملوك الخانيّة الأتراك، وهم مسلمون من نسل افراسياب التركيّ، إلاّ أنّهم مختلفون. وكان سبب إسلام جدّهم الأول واسمه سبق قراخاقان أنّه رأى في منامه كأنّ رجلاً نزل من السماء فقال بالتركيّة ما معناه: أسْلِم تَسْلَم في الدنيا والآخرة؛ فأسلم في منامه، وأصبح فأظهر إسلامه، فلمّا مات قام مقامه ابنه موسى بن سبق، ولم يزل المُلك بتلك الناحية في أولاده إلى أرسلان خان محمّد بن سليمان بن داود بغراخان بن إبراهيم الملقّب بطمغاج خان بن ايلك الملقّب بنصر أرسلان بن عليّ بن موسى بن سبق، فخرج على قدرخان فانتزع المُلك منه، فقتل سنجَر قدرخان، كما ذكرناه، سنة أربع وتسعين وأربعمائة، وأعاد المُلك إلى أرسلان خان، وثبت قدمه. وخرج[1] خوارج، فاستصرخ السلطان سنجَر فنصره وأعاده إلى مُلكه أيضاً.

وكان من جُنده نوع من الأتراك يقال لهم القارغليّة[2] والأتراك الغُزّيّة الذين نهبوا خُراسان على ما نذكره إن شاء اللّه، وهم نوعان: نوع يقال لهم أجق، وأميرهم طوطى بن دادبك؛ ونوع يقال لهم برق[3]، وأميرهم قرعوت بن عبد الحميد، فحسّن الشريف الأشرف بن محمّد بن أبي شجاع العلويّ السمرقنديّ لولد أرسلان خان المعروف بنصر خان طَلبَ المُلك من أبيه وأطمعه، فسمع محمّد خان الخبر، فقتل الابن والشريف الأشرف.

وجرت بين أرسلان خان وبين جُنده القارغليّة[4] وحشة دعتهم إلى العصيان عليه وانتزاع المُلك منه، فعاود الاستغاثة بالسلطان سنجَر، فعبر جَيحون بعساكره سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وكان بينهما مصاهرة، فوصل إلى سَمَرقند، وهرب القارغليّة من بين يديه.

---

(١) في (أ): «وخرج عليه».
(٢) في (أ): «القارلغية».
(٣) في (أ): «سرق».
(٤) في (أ): «القارلغية».

واتّفق أنّ السلطان سنجَر خرج إلى الصيد، فرأى خيّالة، فقبض عليهم، فأقرّوا بأنّ أرسلان خان وضعهم على قتله، فعاد إلى سمرقند، فحصر أرسلان خان بالقلعة فملكها، وأخذه أسيراً، وسيّره إلى بلخ فمات بها، وقيل: بل غدر به سنجَر، واستضعفه، فملك البلد منه، فأشاع عنه ذلك.

فلمّا ملك سمرقند استعمل عليها بعده قلج طمغاج أبا المعالي الحسن بن عليّ بن عبد المؤمن المعروف بحسن تِكين، وكان من أعيان بيت الخانيّة، إلاّ أنّ أرسلان خان اطّرحه، فلمّا وليَ سمرقند لم تطُلْ أيّامه، فمات عن قليل، فأقام سنجَر مقامه الملك محمود بن أرسلان خان محمّد بن سليمان بن داود بغراخان، وهو ابن الذي أخذ منه سنجر سمرقند، وكان محمود هذا ابن أخت سنجر، وكان قبل ذلك، سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، قد وصل الأعور الصينيّ إلى حدود كاشغَر في عددٍ كثير لا يعلمهم إلاّ اللّه، فاستعدّ له صاحب كاشغَر، وهو الخان أحمد بن الحسن، وجمع جنوده، فخرج إليه، والتقوا، فاقتتلوا، وانهزم الأعور الصينيّ، وقُتل كثير من أصحابه، ثمّ إنّه مات، فقام مقامه كوخان الصينيّ.

وكو بلسان الصين لقبٌ لأعظم ملوكهم، وخان لقبٌ لملوك الترك فمعناه أعظم الملوك. وكان يلبس لِبسة ملوكهم من المَقنعة والخمار، وكان مانَويَّ المذهب. ولما خرج من الصين إلى تركستان انضاف إليه الأتراك الخطا، وكانوا قد خرجوا قبله من الصين، وهم في خدمة الخانيّة أصحاب تركستان.

وكان أرسلان خان محمّد بن سليمان يسيّر كلَّ سنة عشرة آلاف خركاة ويُنزلهم على الدروب التي بينه وبين الصين، يمنعون أحداً من الملوك أن يتطرّق إلى بلاده، وكان لهم على ذلك جرايات وإقطاعات، فاتّفق أنّه وجد عليهم في بعض السنين، فمنعهم عن نسائهم لئلاّ يتوالدوا، فعظُم عليهم، ولم يعرفوا وجهاً يقصدونه وتحيّروا، فاتّفق أنّه اجتاز بهم قَفَلٌ عظيمٌ فيه الأموال الكثيرة والأمتعة النفيسة، فأخذوه وأحضروا التجّار وقالوا لهم: إن كنتم تريدون أموالكم فتعرّفونا بلداً كثير المرعى فسيحاً، يسعنا ومعنا أموالنا، فاتّفق رأي التجار على بلد بلاساغون فوصفوه لهم، فأعادوا إليهم أموالهم، وأخذوا الموكّلين بهم لمنعهم عن نسائهم وكتّفوهم، وأخذوا نساءهم، وساروا إلى بلاساغون، وكان أرسلان خان يغزوهم ويُكثِر جهادهم فخافوه خوفاً عظيماً.

فلمّا طال ذلك عليهم وخرج كوخان الصينيّ انضافوا إليه أيضاً، فعظُم شأنهم وتضاعف جَمْعهم، وملكوا بلاد تركستان، وكانوا إذا ملكوا المدينة لا يغيّرون على أهلها شيئاً، بل يأخذون من كلّ بيت ديناراً من أهل البلاد وغيرها من القُرى، وأمّا المزدرعات وغير ذلك فلأهله، وكلّ مَن أطاعهم من الملوك شدّ في وسطه شبه لوح فضّة، فتلك علامة مَن أطاعهم.

ثمّ ساروا إلى بلاد ما وراء النهر، فاستقبلهم الخاقان محمود بن محمّد بن حدود خجندة[1] في رمضان سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، واقتتلوا، فانهزم الخاقان محمود بن محمّد، وعاد إلى سمرقند، فعظُم الخطب على أهلها، واشتدّ الخوف والحزن، وانتظروا البلاء صباحاً ومساء، وكذلك أهل بخارى وغيرها من بلاد ما وراء النهر، وأرسل الخاقان محمود إلى السلطان سنجَر يستمدّه ويُنهي إليه ما لقي المسلمون، ويحثّه على نُصرتهم، فجمع العساكر، فاجتمع عنده ملوك خُراسان: صاحب سجستان والغور، وملك غَزْنَة، وملك مازندران وغيرهم، فاجتمع له أكثر من مائة ألف فارس، وبقي العرض ستّة أشهر.

وسار سنجَر إلى لقاء الترك، فعبر إلى ما وراء النهر في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، فشكا إليه محمود بن محمّد خان من الأتراك القارغليّة[2]، فقصدهم سنجَر، فالتجأُوا إلى كوخان الصينيّ ومَن معه من الكفّار، وأقام سنجَر بسمرقند، فكتب إليه كوخان كتاباً يتضمّن الشفاعة في الأتراك القارغليّة، ويطلب منه أن يعفو عنهم، فلم يشفّعه فيهم، وكتب إليه يدعوه إلى الإسلام ويتهدّده إن لم يُجِبْ إليه، ويتوعّده بكثرة عساكره، ووصفهم، وبالغ في قتالهم بأنواع السلاح حتى قال: وإنّهم يشقّون الشعر بسهامهم؛ فلم يُرضِ هذا الكتاب وزيره طاهر بن فخر المُلك بن نظام المُلك، فلم يُصْغِ إليه، وسيّر الكتاب، فلمّا قُرِىء الكتاب على كوخان أمر بنتف لحية الرسول، وأعطاه إبرةً، وكلّفه شقّ شعرة من لحيته، فلم يقدر أن يفعل ذلك، فقال: كيف يشقّ غيرك شعرة بسهم، وأنت عاجز عن شقّها بإبرة؟

واستعدّ كوخان للحرب، وعنده جنود الترك، والصين، والخطا، وغيرهم،

---

(١) في (أ): «بحدود»، وفي (ب): «خجند»، وفي الباريسية: «حجبة».

(٢) في (أ): «القارلغية».

وقصد السلطان سنجَر، فالتقى العسكران، وكانا كالبحرين العظيمَين، بموضع يقال له قطوان، وطاف بهم كوخان حتى ألجأهم إلى وادٍ له درغم، وكان على ميمنة سنجَر الأمير قماج، وعلى ميسرته ملك سجستان، والأثقال وراءهم، فاقتتلوا خامس صفر سنة ستّ وثلاثين وخمسمائة.

وكانت الأتراك القارغليّة الذين هربوا من سنجَر من أشدّ النّاس قتالاً، ولم يكن ذلك اليوم من عسكر السلطان سنجَر أحسن قتالاً من صاحب سجستان، فأجلت الحرب عن هزيمة المسلمين، فقُتل منهم ما لا يُحصى من كثرتهم، واشتمل وادي درغم على عشرة آلاف من القتلى والجرحى، ومضى السلطان سنجَر منهزماً، وأُسر صاحب سجستان، والأمير قماج، وزوجة السلطان سنجر، وهي ابنة أرسلان خان، فأطلقهم الكفّار، وممّن قُتل الحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة البخاريّ الفقيه الحنفيّ المشهور، ولم يكن في الإسلام وقعة أعظم من هذه ولا أكثر ممّن قُتل فيها بخُراسان.

واستقرّت دولة الخطا والترك الكفّار بما وراء النهر، وبقي كوخان إلى رجب من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فمات فيه. وكان جميلاً، حسن الصورة، لا يلبس إلاّ الحرير الصينيّ، له هيبة عظيمة على أصحابه، ولم يسلّط أميراً على أقطاع بل كان يُعطيهم من عنده، ويقول: متى أخذوا الأقطاع ظلموا؛ وكان لا يقدّم أميراً على أكثر من مائة فارس حتى لا يقدر على العصيان عليه؛ وكان ينهى أصحابه عن الظُلم، وينهى عن السكر[1] ويعاقب عليه، ولا ينهى عن الزنا ولا يقبّحه.

وملك بعده ابنة له، فلم تطُلْ مدّتها حتى ماتت، فملك بعدها أمّها زوجة كوخان وابنة عمّه، وبقي ما وراء النهر بيد الخطا إلى أن أخذه منهم علاء الدين محمّد خُوارزم شاه سنة اثنتي عشرة وستّمائة، على ما نذكره إن شاء الله[2].

---

(١) في (أ): «الفساد».

(٢) المنتظم ١٠/٩٦، ٩٧ (١٨/ ١٩)، تاريخ حلب ٣٩٦ (٥٥)، ذيل تاريخ دمشق ٢٧٥، تاريخ الزمان ١٥٥، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٨٠، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٨٥، الدرّة المضية ٥٣٤، ٥٣٥، العبر ٤/ ٩٨، تاريخ الإسلام (٥٣٦ هـ.) ص ٢٢٠، ٢٢١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٤، الكواكب الدرية ١١٤، شذرات الذهب ٤/ ١١١، تاريخ ابن سباط ١/ ٧٣، ٧٤، راحة الصدور (لندن) ١٧٢، حبيب السير ٢/ ٥٠٩، تاريخ كزيده (طهران) للقزويني ٤٤٩، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٥، ١٦، العبر =

## ذكر ما فعله خُوارزم شاه بخُراسان

قد ذكرنا قبلُ قصد[1] السلطان سنجَر خُوارزم، وأخذها من خُوارزم شاه أتسِز، وعوده إليها، وقتل ولد خُوارزم شاه، [وأنّه هو الذي راسل الخطا وأطمعهم في بلاد الإسلام، فلمّا لقيهم السلطان سنجَر وعاد منهزماً][2] سار خُوارزم شاه إلى خُراسان، فقصد سَرْخَس في ربيع الأوّل من[3] السنة.

فلمّا وصل إليها لقيه الإمام أبو محمّد الزياديّ، وكان قد جمع بين الزهد والعلم، فأكرمه خُوارزم شاه إكراماً عظيماً، ورحل من هناك إلى مرو الشاهجان، فقصده الإمام أحمد الباخَرْزِيّ، وشفع في أهل مَرْو، وسأل ألاّ يتعرّض لهم[4] أحد من العسكر، فأجابه إلى ذلك، ونزل بظاهر البلد، واستدعى أبا الفضل الكرْمانيّ الفقيه وأعيان أهلها، فثار عامّة مرو، وقتلوا بعض أهل خُوارزم شاه، وأخرجوا أصحابه من البلد، وأغلقوا أبوابه، واستعدّوا للامتناع، فقاتلهم خُوارزم شاه، ودخل مدينة مرو سابع عشر ربيع الأوّل من السنة، وقتل كثيراً من أهلها.

وممّن قُتل: إبراهيم المروزيّ الفقيه الشافعيّ، وعليُّ (بن محمّد)[5] بن أرسلان، وكان ذا فنون كثيرة من العلم، وقُتل الشريف عليّ بن إسحق المُوسَويُّ، وكان رأس فتنة وملقح شرّ، وقتل كثيراً من أعيان أهلها وعاد إلى خُوارزم، واستصحب معه علماء كثيرين[6] من أهلها منهم: أبو الفضل الكرْمانيّ، وأبو منصور العباديّ، والقاضي الحسين بن محمّد الأرسابنديّ، وأبو محمّد الخَرَقيّ الفيلسوف، وغيرهم[7].

ثمّ سار في شوّال من السنة إلى نَيسابور، فخرج إليه جماعة من فقهائها وعلمائها

---

= ٤/٩٨، دول الإسلام ٢/٥٥ (حوادث ٥٣٥ هـ.)، مرآة الجنان ٣/٢٦٦، ٢٦٧، عيون التواريخ ١٢/٢٦٧، ٢٦٨، تاريخ ابن خلدون ٥/٦٤، ٦٥.

(١) في الباريسية: «قصة».

(٢) ما بين الحاصرتين من الباريسية.

(٣) في الباريسية. والنسخة رقم ٧٤٠ «في».

(٤) في الأوربية: «يعترض إليهم».

(٥) من (أ).

(٦) في الأوربية: «كثيراً».

(٧) المنتظم ١٠/٩٥ (١٨/١٧)، تاريخ الإسلام (٥٣٦ هـ.) ص ٢١٩، عيون التواريخ ١٢/٣٦٧.

وزهّادها، وسألوه أن لا يفعل بأهل نيسابور ما فعل بأهل مرو، فأجابهم إلى ذلك، لكنّه استقصى في البحث عن أموال أصحاب السلطان فأخذها، وقطع خطبة السلطان سنجَر، أوّل ذي القعدة، وخطبوا له؛ فلمّا ترك الخطيب ذكر السلطان سنجَر، وذكر خُوارزم شاه صاح النّاس وثاروا، وكادت الفتنة تثور والشرّ يعود جديداً، وإنّما منع النّاس من ذلك ذوو الرأي والعقل نظراً في العاقبة، فقُطعت إلى[1] أوّل المحرّم سنة سبعٍ وثلاثين [وخمسمائة]، ثم أعيدت خطبة السلطان سنجَر.

ثمّ سيّر خُوارزم شاه جيشاً إلى أعمال بَيْهق، فأقاموا بها يقاتلون أهلها خمسة أيّام، ثمّ سار عنها ذلك الجيش ينهبون البلاد، وعملوا بخُراسان أعمالاً عظيمة، ومنع السلطان سنجَر من مقاتلة أتسِز خُوارزم شاه خوفاً من قوّة الخِطا بما وراء النهر، ومجاورتهم خُوارزم وغيرها من بلاد خُراسان.

## ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ملك أتابك زنكي بن آقسنقر مدينة الحديثة، ونقل مَن كان بها من آل مهراش إلى الموصل، ورتّب أصحابه فيها[2].

وفيها خُطب لزنكي أيضاً بمدينة آمِد، وصار صاحبها في طاعته، وكان قبل ذلك موافقاً لداود على قتال زنكي، فلمّا رأى قوّة زنكي صار معه[3].

وفيها عُزل مجاهد الدين بهروز عن شِحنكيّة بغداد، ووليها قزل أمير آخُر، وهو من مماليك السلطان محمود، وكان له بروجرد والبصرة، فأضيف إليه شِحنكيّة بغداد، ثمّ وصل السلطان مسعود إلى بغداد، فرأى من تبسّط العيّارين وفسادهم ما ساءه، فأعاد بهروز إلى الشِحنكيّة، فتاب كثير منهم، ولم ينتفع النّاس بذلك، لأنّ ولد الوزير وأخا امرأة السلطان كانا يقاسمان العيّارين، فلم يقدر بهروز على منعهم[4].

---

(١) في (أ): «في».

(٢) المنتظم ١٠/١٠٢ (١٨/٢٢٦) (حوادث ٥٣٧ هـ.)، التاريخ الباهر ٦٤، مفرّج الكروب ١/٩٠، الدرة المضية ٥٣٦ (حوادث ٥٣٦ هـ.)، البداية والنهاية ١٢/٢١٨، الكواكب الدرّية ١١٤، النجوم الزاهرة ٥/٢٧١، تاريخ الإسلام (٥٣٧ هـ.) ص ٢٢٢.

(٣) أنظر الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٢/٤٣٨.

(٤) المنتظم ١٠/٩٥ (١٨/١٧)، تاريخ الإسلام (٥٣٦ هـ.) ص ٢٢٠.

وفيها تولّى عبد الرحمن بن طُغايرك[1] حجبة السلطان، واستولى على المملكة وعزل الأمير تتر الطُّغْرُليّ عنها، وآل أمره إلى أن يمشي في ركاب عبد الرحمن.

وفيها توفّي إبراهيم السهاويّ[2] مقدّم الإسماعيليّة، فأحرقه ولد عبّاس صاحب الرَّيّ في تابوته.

وفيها حجّ كمال الدين بن طلحة صاحب المخزن، وعاد وقد لبس ثياب الصوفيّة، وتخلّى عن جميع ما كان فيه، وأقام في داره مَرْعيّ[3] الجانب، محروس القاعدة.

وفيها وصل السلطان إلى بغداد وكان الوزير الزينبيّ بدار السلطان، كما ذكرناه، فسأل السلطان أن يشفع فيه ليردّه الخليفة إلى داره، فأرسل السلطان وزيره إلى دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبيّ، وشفع في أن يعود إلى داره، فأُذِن له في ذلك، وأُعيد أخوه إلى نقابة النقباء، فلزِم الوزير داره، ولم يخرج منها إلاّ إلى الجامع[4].

وفيها أغار عسكر أتابكي زنكي من حلب على بلاد الفرنج، فنهبوا وأحرقوا، وظفروا بسريّة الفرنج، فقتلوا فيهم وأكثروا، فكان عدّة القتلى سبع مائة رجل[5].

وفيها أفسد بنو خفاجة بالعراق، فسيّر السلطان مسعود سريّة إليهم من العسكر، فنهبوا حِلّتهم، وقتلوا مَن ظفروا به منهم، وعادوا سالمين[6].

وفيها سيّر رُجّار الفرنجيّ صاحب صقليّة أسطولاً إلى أطراف إفريقية، فأخذوا مراكب سُيِّرت من مصر إلى الحسن صاحب إفريقية، وغدر بالحَسَن، ثمّ راسله

---

(١) في طبعة صادر ١١/٨٩ «عبد الرحمن طغايرك»، والمضاف من (أ) وتاريخ دولة آل سلجوق ١٧٧.

(٢) هكذا في الأصل وطبعة صادر ١١/٨٩، وفي المنتظم (المطبوع) ١٠/٩٥ و (١٨/١٧) «السهولي» وفي الأصل «السهلوي»، وفي نسخة: «البهلوي»، وفي تاريخ الإسلام (٥٣٦ هـ.) ص ٢١٩ «البهلوي» أيضاً.

(٣) في الأوربية: «مرعا».

(٤) المنتظم ١٠/٥٦ (١٨/١٨)، تاريخ الإسلام (٥٣٦ هـ.) ص ٢٢٠.

(٥) ذيل تاريخ دمشق ٢٧٤، تاريخ حلب ٣٩٦ (٥٥)، زبدة الحلب ٢/٢٧٥.

(٦) ذيل تاريخ دمشق ٢٧٤، ٢٧٥، تاريخ حلب ٣٩٦ (٥٥).

الحسن، وجدّد الهدنة لأجل حمل الغلات من صَقليّة إلى إفريقية، لأنّ الغلاء كان فيها شديداً والموت كثيراً.

## [الوفيات]

وفيها توفّي أبو القاسم عبد الوهّاب بن عبد الواحد[١] الحنبليّ الدمشقيّ، وكان عالماً صالحاً.

وفيها توفّي ضياء الدين أبو سعيد بن الكَفَرْتُوثيّ[٢] وزير أتابك زنكي، وكان حَسَن السيرة في وزارته، كريماً، رئيساً.

وفيها توفّي أبو محمّد طاووس[٣] إمام الجامع بدمشق في المحرّم، وكان رجلاً صالحاً، فاضلاً.

وفيها توفّي أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث المعروف بابن السمرقنديّ[٤]، وُلد بدمشق سنة أربعٍ وخمسين وأربعمائة، وكان مُكثِراً من الحديث.

---

(١) أنظر عن (ابن عبد الواحد) في: تاريخ الإسلام (٥٣٦ هـ.) ص ٤١٧، ٤١٨ رقم ٢٨٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) أنظر عن (الكفرتوثي) في: تاريخ حلب ٣٩٦ (٥٥)، ذيل تاريخ دمشق ٢٧٥، وزبدة الحلب ٢/٢٧٦.

(٣) أنظر عن (ابن طاووس) في تاريخ حلب ٣٩٦ (٥٥)، وذيل تاريخ دمشق ٢٧٦.

(٤) أنظر عن (ابن السمرقندي) في: تاريخ الإسلام (٥٣٦ هـ.) ص ٤٠٦ ـ ٤٠٨ رقم ٢٧٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

# (٥٣٧)
# ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

## ذكر مُلك أتابك زنكي قلعة آشِب[١] وغيرها من الهكّاريّة

في هذه السنة أرسل أتابك زنكي جيشاً إلى قلعة آشِب[١]، وكانت أعظم حصون الأكراد الهكّاريّة وأمنعها، وبها أموالهم وأهلهم، فحصروها وضيّقوا على مَن بها فملكوها، فأمر بإخرابها وبناء القلعة المعروفة بالعماديّة عِوَضاً عنها.

وكانت هذه العماديّة حصناً عظيماً من حصونهم، فخرّبوه لكِبره لأنّه كبير جدّاً، وكانوا يعجزون عن حِفْظه، فخُرّبت الآن آشِب[١] وعُمِّرت العِماديّة، وإنّما سُمّيت العِماديّة، نسبة إلى لَقَبه؛ وكان نصير الدين جقر نائبه بالموصل قد فتح أكثر القلاع الجبليّة[٢].

## ذكر حصر الفرنج طرابلس الغرب

وفي هذه السنة سارت مراكب الفرنج من صَقَلّيّة إلى طرابلس الغرب فحصروها؛ وسبب ذلك أنّ أهلها في أيّام الأمير الحسن، صاحب إفريقية، لم يدخلوا يداً في طاعته، ولم يزالوا مخالفين مشاقّين[٣] له، قد قدّموا عليهم من بني مطروح مشايخ يدبّرون أمرهم، فلمّا رآهم ملك صَقَلّيّة كذلك جهّز إليهم جيشاً في البحر، فوصلوا إليهم تاسع ذي الحجّة، فنازلوا البلد وقاتلوه، وعلّقوا الكلاليب في سوره ونقبوه.

فلمّا كان الغد وصل جماعة من العرب نجدةً لأهل البلد، فقوي أهل طرابلس

---

(١) هي قلعة الشعباني كما في (ب) ومعجم البلدان ١/ ٥٤، والتاريخ الباهر ٦٤.

(٢) تاريخ حلب ٣٩٦ (٥٥)، ذيل تاريخ دمشق ٢٧٧، التاريخ الباهر ٦٤، زبدة الحلب ٢/ ٢٧٦، ٢٧٧، الروضتين ٩١، ٩٢، المختصر لأبي الفداء ٣/ ١٦، نهاية الأرب ٢٧/ ١٤٠، ١٤١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٤، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٣٥، الكواكب الدرّية ١١٤، تاريخ ابن سباط ١/ ٧٤.

(٣) في الأوربية: «مشافقين».

بهم، فخرجوا إلى الأسطوليّة، فحملوا عليهم حملة منكرة، فانهزموا هزيمة فاحشة، وقُتل منهم خلْق كثير، ولحِق الباقون بالأسطول، وتركوا الأسلحة والأثقال والدوابّ، فنهبها العرب وأهل البلد. ورجع الفرنج إلى صَقَلّيّة، فجدّدوا أسلحتهم وعادوا إلى المغرب، فوصلوا إلى جيجل، فلمّا رآهم أهل البلد هربوا منه إلى البراري والجبال، فدخلها الفرنج وسبوا مَن أدركوا فيها وهدموها، وأحرقوا القصر الذي بناه يحيَى بن العزيز بن حمّاد للنزهة ثمّ عادوا[١].

## ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة خرج حسن أمير الأمراء على السلطان سَنْجَر بخُراسان.

وفيها توفّي محمّد بن دانشمند[٢] صاحب مَلَطية والثغر، واستولى على بلاده الملك مسعود بن قِلج [أرسلان] صاحب قونية، وهو من السلجوقيّة.

وفيها خرج من الروم عسكر كثير إلى الشام، فحصروا الفرنج بأنطاكية، فخرج صاحبها واجتمع بملك الروم، وأصلح حاله معه، وعاد إلى مدينة أنطاكية، ومات في رمضان من هذه السنة[٣].

ثمّ إنّ ملك الروم بعد أن صالح صاحب أنطاكية سار إلى طرابلس فحصرها، ثمّ سار عنها[٤].

وفيها قبض السلطان مسعود على الأمير ترشك، وهو من خواصّ الخليفة، وممّن رُبّي عنده وفي داره، فساء ذلك الخليفة، ثمّ أطلقه السلطان حِفْظاً لقلب الخليفة[٥].

وفيها كان بمصر وباء عظيم فهلك فيه أكثر أهل البلاد[٦].

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٦.

(٢) أنظر عن (ابن دانشمند) في: ذيل تاريخ دمشق ٢٧٧، تاريخ مختصر الدول ٢٠٦، العبر ٤/ ١٠١، تاريخ الإسلام (٥٣٧ هـ.) ص ٢٢٢، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٤.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٢٧٦، ٢٧٧، تاريخ الإسلام (٥٣٧ هـ.) ص ٢٢٣.

(٤) تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (تأليفنا) ج ١/ ٥٠٣ (الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ./ ١٩٨٤ م.).

(٥) المنتظم ١٠/ ١٠٥، ١٠٦، (١٨/ ٣٠) ـ حوادث ٥٣٨ هـ.)

(٦) تاريخ حلب ٣٩٧ (٥٦)، ذيل تاريخ دمشق ٢٧٦، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٨٥، تاريخ الإسلام (٥٣٧ هـ.) ص ٢٢٢، إتعاظ الحنفا ٣/ ١٧٧.

# (٥٣٨)

# ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

## ذكر صلح الشهيد والسلطان مسعود

في هذه السنة وصل السلطان مسعود إلى بغداد على عادته في كلّ سنة، وجمع العساكر، وتجهّز لقصد أتابك زنكي، وكان حقد عليه حقداً شديداً.

وسبب ذلك أنّ أصحاب الأطراف الخارجين على[1] السلطان مسعود كانوا يخرجون عليه على ما تقدّم ذِكره، فكان ينسب ذلك إلى أتابك زنكي، ويقول إنّه هو الذي سعى فيه وأشار به لعِلمه أنّهم كلّهم كانوا يصدرون عن رأيه؛ فكان أتابك زنكي لا شكّ يفعل ذلك لئلاّ يخلو السلطان فيتمكّن منه ومن غيره؛ فلمّا تفرّغ السلطان، هذه السنة، جمع العساكر ليسير إلى بلاده، فسيّر أتابك يستعطفه ويستميله، فأرسل إليه السلطان أبا عبد الله بن الأنباريّ في تقرير القواعد، فاستقرّت القاعدة على مائة ألف دينار يحملها إلى السلطان ليعود عنه، فحمل عشرين ألف دينار أكثرها عروضٌ؛ ثمّ تنقلّت الأحوال بالسلطان إلى أن احتاج إلى مُداراة أتابك، وأطلق له الباقي استمالةً له وحِفْظاً لقلبه، وكان أعظم الأسباب في قُعود[2] السلطان عنه ما يعلمه من حصانة بلاده، وكثرة عساكره وأمواله.

ومن جيّد الرأي ما فعله الشهيد في هذه الحادثة، فإنّه كان ولده الأكبر سيف الدين غازي لا يزال عند السلطان سَفَراً وحَضَراً بأمر والده، فأرسل إليه الآن يأمره بالهرب من عند السلطان إلى الموصل، فأرسل إلى نائبه بها نصير الدين جقر يقول له

---

(١) في الأوربية: «عن».

(٢) في الأوربية: «قعاد».

ليمنعه عن الدخول والوصول إليه، فهرب غازي. وبلغ الخبرُ والدَه، فأرسل إليه يأمره بالعَود إلى السلطان، ولم يجتمع به، وأرسل معه رسولاً إلى السلطان يقول له: إنّ ولدي هرب خوفاً من السلطان لما رأى تغيّره عليّ، وقد أعدتُه إلى الخدمة، ولم أجتمع به، فإنّه مملوكك، والبلاد لك؛ فحلّ ذلك من السلطان محلاًّ عظيماً[1].

## ذكر مُلك أتابك بعض ديار بكر

وفي هذه السنة سار أتابك زنكي إلى ديار بكر ففتح منها عدّة بلاد وحصون، فمن ذلك: مدينة طَنْزَة، ومدينة أَسْعِرْد[2]، ومدينة حِيزَان، وحصن الرُّوق، وحصن قطليس[3]، وحصن ناتاسا[4]، وحصن ذي القرنين، وغير ذلك ممّا لم يبلغ شهرة هذه الأماكن، وأخذ أيضاً من بلد ماردين ممّا هو بيد الفرنج حملين[5]، والمُوَزَّر، وتل مَوْزَن[6]، وغيرها من حصون جوسلين[7]، ورتّب أمور الجميع، وجعل فيها من الأجناد مَن يحفظها، وقصد مدينة آمِد وحَاني فحصرهما، وأقام بتلك الناحية مُصلِحاً لما فتحه، ومحاصِراً لما لم يفتحه[8].

## ذكر أمر العيّارين ببغداد

وفي هذه السنة زاد أمر العيّارين وكثروا لأمنهم من الطلب، بسبب ابن الوزير

---

(١) الخبر في: التاريخ الباهر ٦٥، المنتظم ١٠/١٠٥ (١٨/ ٣٠)، الروضتين ١٠/٩٢، نهاية الأرب ٢٧/١٤١، المختصر في أخبار البشر ٣/١٦، تاريخ الإسلام (٥٣٨ هـ.) ص ٢٢٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٤، البداية والنهاية ١٢/٢١٨، عيون التواريخ ١٢/٣٧٧، تاريخ ابن خلدون ٥/٢٣٥، الكواكب الدرية ١١٥، تاريخ ابن سباط ١/ ٧٥.

(٢) في المختصر لأبي الفداء ٣/١٦ «استعرد»، وهي «أسْعِرت» بالتاء. (معجم البلدان ٢/ ٣٣١).

(٣) في التاريخ الباهر، ومفرّج الكروب «فطليس» بالفاء.

(٤) في (ب): والمختصر: «باتاسا» وفي نهاية الأرب: «باناسا». ولم يذكرها ياقوت في معجمه.

(٥) في المختصر: «جملين».

(٦) في المختصر: «تل موزر»، والمثبت هو الصحيح كما في معجم البدان ٢/ ٤٥.

(٧) في المختصر: «من حصون شختان»، وفي نهاية الأرب ٢٧/١٤٢ «شبختان»، وفي تاريخ ابن سباط ١/ ٧٦ «شبجان».

(٨) التاريخ الباهر ٦٦، الروضتين ١/٩٣، مفرّج الكروب ١/ ٩٢، نهاية الأرب ٢٧/ ١٤٢، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٦، تاريخ ابن سباط ١/٧٥،٧٦.

وابن قاورت[1] أخي زوجة السلطان، لأنّهما كان لهما نصيب في الذي يأخذه العيّارون.

وكان النائب في شِحنكيّة بغداد يومئذٍ مملوك اسمه إيلدكز، وكان صارماً، مِقداماً، ظالماً، فحملهُ الإقدام إلى أن حضر عند السلطان، فقال له السلطان: إنّ السياسة قاصرة، والنّاس قد هلكوا. فقال: يا سلطان العالم إذا كان عقيد العيّارين ولد وزيرك وأخا امرأتك، فأيّ قدرةٍ لي على المفسدين؟ وشرح له الحال، فقال له: الساعة تخرج وتكبس عليهما أين كانا، وتصلبهما، فإنْ فعلتَ وإلاّ صلبتُك؛ فأخذ خاتمه وخرج، فكبس على ابن الوزير، فلم يجده، فأخذ مَن كان عنده، وكبس على ابن قاورت[1] فأخذه وصلبه، فأصبح النّاس وهرب ابن الوزير، وشاع في النّاس الأمر، ورُئي ابن قاورت[1] مصلوباً، فهرب أكثر العيّارين، وقبض على مَن أقام، وكفى النّاس شرّهم[2].

## ذكر حصر سَنْجَر خُوارزم وصُلحه مع خُوارزم شاه

قد ذكرنا سنة اثنتين وثلاثين [وخمسمائة] مسير سنجَر إلى خُوارزم ومُلكه لها، وعَود أتسِز خُوارزم شاه إليها وأخْذها، (وما كان منه بخُراسان بعد ذلك)[3]؛ فلمّا كان في هذه السنة سار السلطان سنجَر إلى خُوارزم، فجمع خُوارزم شاه عساكره، وتحصّن بالمدينة، ولم يخرج منها لقتال، لعِلمه أنّه لا يقوى لسنجَر.

وكان القتال يجري بين الفريقين من وراء السور، فاتّفق [في] يومٍ من بعض الأيّام (أنْ] هجم أميرٌ من أمراء سَنْجَر اسمه سُنْقُر على البلد من الجانب الشرقيّ ودخله، ودخل أمير آخر اسمه مثقال التاجيّ من الجانب الغربيّ، فلم يبقَ غير مُلكه قهراً وعَنْوةً، وانصرف مثقال عن البلد حسداً لسُنقُر، فقوي عليه خُوارزم شاه أتسِز، فأخرجه من البلد، وبقي سُنقُر وحده، واشتدّ في حِفظه، فلمّا رأى السلطان قوّة البلد وامتناعه عزم على العَود إلى مَرْوَ، ولم يمكنه من غير قاعدةٍ تستقرّ بينهما، فاتّفق أنّ

---

(1) في (أ): «قاورد»، وفي المنتظم: «قاور».

(2) المنتظم ١٠/١٠٦، (١٨/ ٣٠،٣١)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٨٣، تاريخ الإسلام (٥٣٨ هـ.) ص ٢٢٥.

(3) ما بين القوسين من (أ). وفي (ب): «وأخذها وذكرنا ما كان».

خُوارزم شاه أرسل رُسُلاً يبذل المال والطاعة والخدمة، ويعود إلى ما كان عليه من الإنقياد، فأجابه إلى ذلك واصطلحا، وعاد سَنْجَر إلى مرو، وأقام خُوارزم شاه بخُوارزم[1].

## ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سيّر أتابك زنكي عسكراً إلى مدينة عانة من أعمال الفُرات فملكوها[2].

## [الوفيات]

وفيها، في المحرّم، توفّي أبو البركات عبد الوهّاب بن المبارك بن أحمد الأنْماطيّ[3]، الحافظ ببغداد، ومولده سنة اثنتين وستّين وأربعمائة.

وفيها توفّي أبو الفتوح محمّد بن الفضل بن محمّد الإسْفَرَايينيّ[4] الواعظ، من أهل إسْفَرَايين من خُراسان، وأقام مدّة ببغداد يعِظ، وسار إلى خُراسان، فمات ببسطام، وكان إماماً فاضلاً صالحاً، وكان بينه وبين عليّ الغزنويّ تحاسُد، فلمّا مات حضر الغزنويُّ عزاءه ببغداد، وبكى وأكثر، فقال بعض أصحاب أبي الفتوح للغزنوي كلاماً أغلظ له فيه، فلمّا قام الغزنويُّ لامَهُ بعض تلامذته على حضور العزاء وكثرة البكاء، وقال له: كنتَ مهاجراً[5] لهذا الرجل، فلمّا مات حضرتَ عزاءه، وأكثرتَ

---

(١) التاريخ الباهر ٦٥، المنتظم ١٠/١٠٥ (١٨/٣٠)، الروضتين ١/٩٢، نهاية الأرب ٢٧/١٤١، المختصر في أخبار البشر ٣/١٦، تاريخ الإسلام (٥٣٨ هـ.) ص ٢٢٤، تاريخ ابن الوردي ٢/٤٤، عيون التواريخ ١٢/٣٧٧، البداية والنهاية ١٢/٢١٨، الكواكب الدرية ١١٥، تاريخ ابن خلدون ٥/٢٣٥، تاريخ ابن سباط ١/٧٥.

(٢) الروضتين ٩٤، نهاية الأرب ٢٧/١٤٢، المختصر في أخبار البشر ٣/١٦، التاريخ الباهر ٦٤، تاريخ ابن سباط ١/٧٦.

(٣) في طبعة صادر ١١/٩٦ «الأنباطي»، والتصحيح من: المنتظم ١٠/١٠٨ رقم ١٤٩ (١٨/٣٣ رقم ٤٠٩٧)، وصيد الخاطر، لابن الجوزي أيضاً ١١٤، والبداية والنهاية ١٢/٢١٩، وتذكرة الحفاظ ٣/١٢٨٢، والذيل على طبقات الحنابلة ١/٢٤٠، وشذرات الذهب ٤/١١٦، ١١٧ والتصحيح أيضاً من (أ).

(٤) أنظر عن (الإسفراييني) في: تاريخ الإسلام (٥٣٨ هـ.) ص ٤٨٠ ـ ٤٨٣ رقم ٣٩٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) في الأوربية: «مهاجر».

البكاء، وأظهرتَ الحزن؟ قال: كنتُ أبكي على نفسي[1]، كان يقال، فلان وفلان، فمَن يَعْدَم النظيرَ أيقن بالرحيل، وأنشد هذه الأبيات:

ذهـبَ المُبَـرّدُ وانقَضَـتْ أيّـامُـهُ | وسيَنقضـي بعـدَ المبـرّدِ ثَعلَـبُ
بَيـتٌ مِـنَ الآدابِ أصبَـحَ نصْفُـهُ | خَرِبـاً وَبـاقٍ نصْفُـهُ فسَيَخـرَبُ[2]
فتَـزَوّدوا مـنْ ثَعلَـبٍ فبمثْـلِ مـا | شـرِبَ المُبـرّدُ عَـن قَليـلٍ يَشـرَبُ
أُوصِيكُـمُ أنْ تكتبُـوا أنفـاسَـهُ | إن كـانَـتِ الأنفـاسُ مِمّـا يُكتَـبُ[3]

وفيها توفّي الوزير شرف الدين عليّ بن طِراد الزينبيّ[4]، في رمضان، معزولاً، ودُفن بداره بباب الأَزَج، ثمّ نُقل إلى الحربيّة.

وفيها توفّي أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ[5] النحْويّ، المفسّر، وزَمَخْشر: إحدى قرى خُوارزم.

---

(١) في الأوربية: «نفس».

(٢) في المنتظم: «باقي النصف منه سيخرب».

(٣) المنتظم ١٠/١١١، ١١٢ (١٨/٣٧).

(٤) أنظر عن (الوزير الزينبي) في: تاريخ الإسلام (٥٣٨ هـ.) ص ٤٦٩ ـ٤٧١، رقم ٣٧٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) أنظر عن (الزمخشري) في: تاريخ الإسلام (٥٣٨ هـ.) ص ٤٨٦ ـ٤٩٠ رقم ٣٩٨ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته، وكذا في تاريخ ابن سباط ١/٧٦، ٧٧.

# (٥٣٩)

# ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

## ذكر فتح الرُّها وغيرها من بلاد الجزيرة ممّا كان بيد الفرنج

في هذه السنة، سادس جُمادى الآخرة، فتح أتابك عماد الدين زنكي بن آقنسقر مدينة الرُّها من الفرنج، وفتح غيرها من حصونهم بالجزيرة أيضاً، وكان ضررهم قد عمّ بلاد الجزيرة، وشرّهم قد استطار فيها، ووصلت غاراتهم إلى أدانيها وأقاصيها، وبلغت آمِد، ونَصيبين، ورأس عين، والرَّقَة[١].

وكانت مملكتهم بهذه الديار من قريب ماردين إلى الفرات[٢] مثل الرُّها، وسَروج، والبيرة، وسنّ ابن عُطَيْر، وحِملين، والمُوَزّر، والقراديّ، وغير ذلك. وكانت هذه الأعمال مع غيرها ممّا هو غرب الفرات[١] لجوسلين، وكان صاحب رأي الفرنج والمقدّم على عساكرهم، لِما هو عليه من الشجاعة والمكر.

وكان أتابك يعلم أنّه متى قصد حصْرها اجتمع فيها من الفرنج مَن يمنعها، فيتعذّر عليه مُلكها لما هي عليه من الحصانة، فاشتغل بديار بكر، ليُوهِم الفرنجَ أنّه غير متفرّغ لقصْد بلادهم. فلمّا رأوا أنّه غير قادر على ترك الملوك الأُرتقيّة وغيرهم من ملوك ديار بكر، حيث أنّه محاربٌ لهم، اطمأنّوا، وفارق جوسلين الرُّها، وعبر الفرات[١] إلى بلاد الغربيّة، فجاءت عيون أتابك إليه فأخبرته، فنادى في العسكر بالرحيل، وأن لا يتخلّف عن الرُّها أحدٌ من غد يومه، وجمع الأمراء عنده، وقال: قدّموا الطعام؛ وقال: لا يأكل معي على مائدتي هذه إلاّ من يطعن غداً معي على باب

---

(١) زاد في (أ): «وغير ذلك».

(٢) في الأوربية: «الفراة».

الرُّها، فلم يتقدّم إليه غير (أمير)[1] واحد وصبيّ لا يُعرف، لم يعلمون من إقدامه وشجاعته، وأنّ أحداً لا يقدر على مساواته في الحرب. فقال الأمير لذلك الصبيّ: ما أنت في هذا المقام؟ فقال أتابَك: دعه، فَوَاللّهِ إنّي أرى وجهاً لا يتخلّف عنّي.

وسار والعساكر معه، ووصل إلى الرُّها، وكان هو أوّل مَن حمل على الفرنج ومعه ذلك الصبيّ، وحمل فارس من خيّالة الفرنج على أتابك عَرَضاً، فاعترضه ذلك الأمير فطعنه فقتله، وسلِم الشهيد، ونازل البلد، وقاتله ثمانيةً وعشرين يوماً، فزحف إليه عدّة دفعات، وقدّم النقّابين فنقبوا سور البلد، ولجّ في قتاله خوفاً من اجتماع الفرنج والمسير إليه واستنقاذ البلد منه، فسقطت[2] البدنة التي نقبها النقّابون، [وأخذ] البلد عَنْوةً وقهراً، وحصر قلعته فملكها أيضاً، ونهب النّاس الأموال، وسبوا الذريّة، وقتلوا الرجال.

فلمّا رأى أتابك البلد أعجبه، ورأى أنّ تخريب مثله لا يجوز في السياسة، فأمر فنودي في العساكر بردّ من أخذوه من الرجال والنساء والأطفال إلى بيوتهم، وإعادة ما غنموه من أثاثهم وأمتعتهم، فردّوا الجميع عن آخره لم يفقد منهم أحد، إلا الشاذّ النادر الذي أُخذ، وفارق (مَن أخذه)[3] العسكر، فعاد البلد إلى حاله الأوّل، وجعل فيه عسكراً يحفظه، وتسلّم مدينة سَرُوج، وسائر الأماكن التي كانت بيد الفرنج شرقيّ الفرات، ما عدا البيرة، فإنّها حصينة منيعة وعَلى شاطىء الفرات، فسار إليها وحصرها، وكانوا قد أكثروا ميرتها ورجالها، فبقي على حصارها إلى أن رحل عنها على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى[4].

حُكي أنّ بعض العلماء بالأنساب والتواريخ قال: كان صاحب جزيرة صَقَلّيّة قد

---

(١) من (أ).

(٢) في (ب): «وترحيله عن البلد فسقطت إليه».

(٣) «من» من (أ)، والمثبت (ب).

(٤) التاريخ الباهر ٦٦، ٧٠، المنتظم ١٠/ ١١٢ (١٨/ ٣٩) تاريخ الزمان ١٥٦، زبدة الحلب ٢/ ٢٧٨ ـ ٢٨٠، ذيل تاريخ دمشق ٢٧٩، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٩٤، ٩٥، بغية الطلب (قسم السلاجقة) ٢٥٩، ٢٦٠، تاريخ مختصر الدول ٢٠٦، دول الإسلام ٢/ ٥٧، العبر ٤/ ١٠٦، تاريخ الإسلام (٥٣٩ هـ.) ص ٢٢٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٥، مرآة الجنان ٣/ ٢٧١، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٩، عيون التواريخ ١٢/ ٣٨٥، الكواكب الدرية ١١٥ ـ ١١٧، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٥، تاريخ ابن سباط ١/ ٧٨.

أرسل سَرِيّة في البحر إلى طرابلس الغرب وتلك الأعمال، فنهبوا وقتلوا؛ وكان بصَقَلّية إنسان من العلماء المسلمين، وهو من أهل الصلاح، وكان صاحب صَقَلّية يُكرمه ويحترمه، ويرجع إلى قوله، ويقدّمه على مَن عنده من القُسُوس والرهبان؛ وكان أهل ولايته يقولون إنّه مُسلم بهذا السبب.

ففي بعض الأيّام كان جالساً في منْظرةٍ له تُشرف على البحر، وإذ قد أقبل مركب لطيف، وأخبره مَن فيه أنّ عسكره دخلوا بلاد الإسلام، وغنموا وقتلوا وظفروا؛ وكان المسلم إلى جانبه وقد أغفى، فقال له الملك: يا فلان! أمّا تسمع ما يقولون؟ قال: لا! قال: إنّهم يخبرون بكذا وكذا. أين كان محمّد عن تلك البلاد وأهلها؟ فقال له: كان قد غلب عنهم، وشهد فتح الرُّها، وقد فتحها المسلمون الآن؛ فضحك منه مَن هناك من الفرنج، فقال الملك: لا تضحكوا، فواللّه ما يقول إلاّ الحقّ؛ فبعد أيّام وصلت الأخبار من فِرَنج الشام بفتحها.

وحكى لي جماعة من أهل الدين والصلاح أنّ إنساناً صالحاً رأى الشهيد في منامه فقال له: ما فعل اللّه بك؟ قال: غفر لي بفتح الرُّها.

## ذكر قتل نصير الدين جقر وولاية زين الدين عليّ كوجك قلعة الموصل

في هذه السنة، في ذي القعدة، قُتل نصير الدين جقر نائب أتابك زنكي بالموصل والأعمال جميعها التي شرق[1] الفرات.

وسبب قتله أنّ الملك ألْب أرسلان المعروف بالخفاجيّ، ولد السلطان محمود، كان عند أتابك الشهيد، وكان يُظهِر للخلفاء والسلطان مسعود وأصحاب الأطراف أنّ هذه البلاد لهذا الملك، وأنا نائبه فيها، وكان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليُخْطَب له بالسلطنة، ويملك البلاد باسمه، وكان هذا الملك بالموصل، هذه السنة، ونصير الدين يقصده كلّ يوم ليقوم بخدمةٍ إنْ عرضت له، فحسّن له بعض المفسدين طلب المُلك، وقال له: إن قتلتَ نصير الدين ملكتَ الموصل وغيرها من ألبلاد، ولا يبقى مع أتابك زنكي فارسٌ واحدٌ، فوقع هذا منه موقعاً حسناً، وظنّه صِدقاً، فلمّا دخل نصير الدين إليه وثب عليه مَن عنده من أجناد أتابك ومماليكه فقتلوه، وألقوا برأسه إلى أصحابه

---

(١) في (أ): «جميعها إلى شرق».

ظنّاً منهم أنّ أصحابه يتفرّقون ويخرج الملك ويملك البلد.

وكان الأمر خلاف ما ظنّوه، فإنّ أصحابه وأصحاب أتابك الذين في خدمته لما رأوا رأسه قاتلوا مَن بالدار مع الملك، واجتمع معهم الخلق الكثير، وكانت دولة أتابك مملوءة بالرجال والأجلاد ذوي الرأي والتجربة، ثمّ دخل إليه القاضي تاج الدين يحيَى بن الشهرزوريّ ولم يزل به يخدعه، وكان فيما قال له حين رآه منزعجاً: يا مولانا لِمَ تحْرد من هذا الكلب؟ هذا وأستاذُه مماليكك، والحمد للّه الذي أراحنا منه ومن صاحبه على يدك، وما الذي يُقعدك في هذه الدار؟ قُم لتصعد القلعة وتأخذ الأموال والسلاح وتملك البلد وتجمع الجُند، وليس دون البلاد بعد الموصل مانعٌ.

فقام معه وركب القلعة، فلمّا قاربها أراد[1] مَن بها من النقيب والأجناد القتال، فتقدّم إليهم تاج الدين وقال لهم: افتحوا الباب وتسلّموه، وافعلوا به ما أردتم. ففتحوا الباب، ودخل الملك والقاضي إليها ومعها مَن أعان على قتل نصير الدين، فسُجنوا ونزل القاضي.

وبلغ الخبر أتابَكَ زنكي وهو يحاصر قلعة البيرة، وقد أشرف على مُلكها، فخاف أن تختلف البلاد الشرقيّة بعد قتل نصير الدين، ففارق البِيرة، وأرسل زين الدين عليّ ابن بُكْتُكِين[2] إلى قلعة الموصل والياً على ما كان نصير الدين يتولّاه[3].

## ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره البروجرديّ، ووَزَرَ بعده المرزُبان ابن عُبيد اللّه بن نصر الأصفهانيّ، وسلّم إليه البروجرديّ، فاستخرج أمواله، ومات مقبوضاً[4].

وفيها كان أتابك عماد الدين زنكي يحاصر البيرة، وهي للفرنج شرقيّ الفرات بعد مُلك الرُّها، وهي من أمنع الحصون، وضيّق عليها وقارب أن يفتحها، فجاءه خبر قتل نَصير الدين نائبه بالموَصِل، فرحل عنها، وأرسل نائباً إلى الموصل، وأقام ينتظر

---

(١) في (أ): «إلى القلعة فأغلقت وأراد»، وفي (ب): «إلى القلعة فحين رآه من بها أغلقوا بابها و».

(٢) في (أ): «ملتكين».

(٣) المختصر في أخبار البشر ١٧/٣، التاريخ الباهر ٧١، ٧٢.

(٤) نهاية الأرب ٤٦/٢٧، تاريخ دولة آل سلجوق ١٧٩.

الخبر، فخاف مَن بالبيرة من الفرنج أن يعود إليهم، وكانوا يخافونه خوفاً شديداً، فأرسلوا إلى نجم الدين صاحب ماردين وسلّموها له، فملكها المسلمون[١].

وفيها خرج أسطول الفرنج من صَقَلّية إلى ساحل إفريقية والغرب، ففتحوا مدينة برشك[٢]، وقتلوا أهلها، وسبوا حريمهم، وباعوه بصَقَلّية على المسلمين.

وفيها توفّي تاشفين[٣] بن عليّ بن يوسف صاحب الغرب، وكانت ولايته تزيد على أربع سنين، ووليَ بعده أخوه، وضَعُف أمر الملثّمين، وقوي عبد المؤمن، وقد ذكرنا ذلك سنة أربع عشرة وخمسمائة.

وفيها، في شوّال، ظهر كوكب عظيم له ذَنَب من جانب المشرق، وبقي إلى نصف ذي القعدة، ثمّ غاب، ثمّ طلع من جانب الغرب، فقيل: هو هو، وقيل بل غيره[٤].

وفيها كانت فتنة عظيمة بين الأمير هاشم بن فُلَيتة بن القاسم العلويّ الحسينيّ[٥]، أمير مكّة، والأمير نَظَر[٦] الخادم أمير الحاجّ، فنهب أصحاب هاشم الحجّاج وهم في المسجد يطوفون ويصلّون، ولم يرقبوا فيهم إلاً ولا ذِمّةً[٧].

## [الوفيات]

وفيها، في ذي الحجّة، توفّي عبد الله بن[٨] أحمد بن محمّد بن عبد الله بن

---

(١) التاريخ الباهر ٧٠، ٧١، ذيل تاريخ دمشق ٢٧٩، تاريخ دولة آل سلجوق ١٨٧ زبدة الحلب ٢/ ٢٧٨ ـ ٢٨٠، الروضتين ١/ ٩٤، ١٠٣، تاريخ مختصر الدول ٢٠٦، تاريخ الزمان ١٥٦، الكواكب الدرية ١١٥ ـ ١١٧، تاريخ ابن سباط ١/ ٧٨.

(٢) في المختصر لأبي الفداء ٣/ ١٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٥ «برسك» بالسين المهملة.

(٣) أنظر عن (تاشفين) في: تاريخ الإسلام (٥٣٩ هـ.) ص ٤٩٥، ٤٩٦ رقم ٤١١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) المنتظم ١٠/ ١١٢ (١٨/ ٣٩).

(٥) في (أ): «وبين الأمير الحسني».

(٦) في البداية والنهاية ١٢/ ٢١٩ «قطز».

(٧) العبر ٤/ ١٠٦، تاريخ الإسلام (٥٣٩ هـ.) ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٨) ساقطة من طبعة صادر ١١/ ١٠٣.

حمدُوَيْه[1] أبو المعالي المَرْوَزيُّ بمَرْوَ، وسافر الكثير، وسمع الحديث الكثير، وبنى بمرو رِباطاً، ووقف فيه كُتُباً كثيرةً، وكان كثير الصدقة والعبادة.

وتوفّي محمّد بن عبد الملك بن حسن[2] بن إبراهيم بن خَيرون أبو منصور المُقْري، ومولده في رجب سنة أربعٍ وخمسين وأربعمائة، وهو آخر مَن روى عن الجوهريّ بالإجازة، وتوفّي في رجب.

وفي ذي الحجّة منها توفّي أبو منصور سعيد بن محمّد بن عمر المعروف بابن الرزّاز[3]، مدرّس النظاميّة ببغداد، ومولده سنة اثنتين وستّين وأربعمائة، وتفقّه على الغزاليّ، والشاشي[4]، ودُفن في تربة الشيخ أبي إسحق.

---

(١) أنظر عن (ابن حمدويه) في: تاريخ الإسلام (٥٣٩ هـ.) ص ٥٠٣، ٥٠٤ رقم ٤٢١ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) في طبعة صادر ١١/١٠٣ «حسن»، وفي (ب): «الحسين»، والمثبت من (أ) ومن مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٥٣٩ هـ.) ص ٥٢٠،٥٢١ رقم ٤٤٨.

(٣) أنظر عن (ابن الرزاز) في: تاريخ الإسلام (٥٣٩ ـ.) ص ٤٩٩، ٥٠٠ رقم ٤١٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) في طبعة صادر ١١/١٠٣ «والشامي»، والتصويب من (ب) والمصادر.

# (٥٤٠)
# ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة

## ذكر اتّفاق بوزابة وعبّاس على منازعة السلطان

في هذه السنة سار بوزابة، صاحب فارس وخُوزِستان، وعساكره إلى قَاشَانَ، ومعه الملك محمّد [ابن السلطان محمود، واتّصل بهم الملك سليمان شاه] ابن السلطان محمّد، واجتمع بوزابة والأمير عبّاس صاحب الرَّيّ، واتفقا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود، وملكا كثيراً من بلاده.

ووصل الخبر إليه وهو ببغداد ومعه الأمير عبد الرحمن طغايُرك، وهو أمير حاجب، حاكم في الدولة، وكان ميله إليهما، فسار السلطانُ في رمضان عن بغداد، ونزل[1] بها الأمير مُهَلهِل، ونَظَر، وجماعة من غِلمان بَهْرُوز؛ وسار السلطان وعبد الرحمن معه، فتقارب العسكران، ولم يبقَ إلاّ المصافّ، فلحِق سليمان شاه بأخيه مسعود، وشرع عبد الرحمن في تقرير الصلح على القاعدة التي أرادوها، وأضيف إلى عبد الرحمن ولاية أذْرَبيجان وأرّانيّة إلى ما بيده، وصار أبو الفتح بن دارست وزير السلطان مسعود، وهو وزير بوزابة، فصار السلطان معهم تحت الحجْر، وأبعدوا بك أرسلان بن بلنكري المعروف بخاصّ بك، وهو ملازم السلطان وتربيته، وصار في خدمة عبد الرحمن ليحقن دمه، وصار الجماعة في خدمة السلطان صورةً لا معنى تحتها، والله أعلم[2].

## ذكر استيلاء عليّ بن دُبيس بن صدقة على الحِلّة

في هذه السنة سار عليُّ بن دُبيس إلى الحِلّة هارباً، فملكها؛ وكان سبب ذلك أنّ السلطان لما أراد الرحيل من بغداد أشار عليه مُهلهِل أن يحبس عليّ بن دُبيس بقلعة

---

(١) في (أ): «وترك».

(٢) نهاية الأرب ٢٧/٤٧، المنتظم ١٠/١١٦ (١٨/٤٤).

تكريت، فعلِم ذلك، فهرب في جماعةٍ يسيرة نحو خمسة عشر، فمضى إلى الأزيز، وجمع بني أسد وغيرهم، وسار إلى الحِلّة وبها أخوه محمّد بن دُبيس، فقاتله، فانهزم محمّد، وملك عليّ الحِلّة.

واستهان السلطان أمره أوّلاً، فاستفحل وضمّ إليه جمْعاً من غلمانه وغلمان أبيه وأهل بيته وعساكرهم، وكثُر جمْعُهم[١] فسار إليه مهلهل فيمن معه في بغداد من العسكر، وضربوا معه مصافّاً، فكسرهم وعادوا منهزمين إلى بغداد.

وكان أهلها يتعصّبون لعليّ بن دُبيس، وكانوا يصيحون، إذا ركب مهلهل وبعض أصحابه: يا عليّ! كُلْهُ. وكثُر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب.

ومدّ عليّ يده في أقطاع الأمراء بالحِلّة، وتصرّف فيها، وصار شِحنة بغداد ومَن فيها على وجلٍ منه، وجمع الخليفة جماعة، وجعلهم على السور لحِفْظه، وراسل عليّاً، فأعاد الجواب بأنّني العبد المطيع مهما رسم لي فعلتُ؛ فسكن النّاس، ووصلت الأخبار بعد ذلك أنّ السلطان مسعوداً تفرّق خصومه عنه، فازداد سكون النّاس[٢].

## ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حجّ بالنّاس قايماز الأرجوانيُّ صاحب أمير الحاجّ نَظر[٣] واحتجّ نَظَر بأنّ بركَهُ نُهب في كسرة الحِلّة، وأنّ بينه وبين أمير مكّة من الحروب ما لا يمكنه معه الحجّ[٤].

وفيها اتّصل بالخليفة عن أخيه أبي طالب ما كرهه، فضيّق عليه، واحتاط على غيره من أقاربه[٥].

وفيها مَلَك الفِرنج، لعنهم اللّه، مدينة شنترين، وباجة[٦]، وماردة، وأَشْبُونة، وسائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الأندلس، وكانت للمسلمين، فاختلفوا، فطمع

---

(١) في (أ): «جماعته».

(٢) المنتظم ١١٦/١٠ (٤٤/١٨، ٤٥)، المختصر في أخبار البشر ١٧/٣.

(٣) في مرآة الزمان ج ٨ ق ١٨٥/١ «حج بالناس نظر الخادم».

(٤) أنظر المنتظم ١١٦/١٠ (٤٥/١٨).

(٥) المنتظم ١١٦/١٠ (٤٥/١٨)، المختصر في أخبار البشر ١٧/٣.

(٦) في المختصر لأبي الفداء ١٧/٣ «تاجر»، : تاريخ ابن الوردي ٤٥/٢ «ماجه».

العدوّ، وأخذ هذه المدن، وقوي بها قوّة تمكّن معها، وتيقّن مُلك سائر البلاد الإسلاميّة بالأندلس، فخيّب الله ظنّه، وكان ما نذكره[١].

وفيها سار أسطول الفرنج من صَقَلّية، ففتحوا جزيرة قرقنة من إفريقية، فقتلوا رجالها، وسبوا حريمهم، فأرسل الحسن صاحب إفريقية إلى رُجّار ملك صَقَلّية يذكره العهود التي بينهم، فاعتذر بأنّهم غير مطيعين له.

## [الوفيات]

وفي هذه السنة توفّي مجاهد الدين بهروز[٢] الغياثيّ، وكان حاكماً بالعراق نيّفاً وثلاثين سنة.

ويرنقش[٣] الزكوي، صاحب أصفهان، وكان أيضاً شِحنة بالعراق، وهو خادم أرمني لبعض التجّار.

وتوفّي الأمير إيلدكز شِحنة بغداد.

والشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر الجواليقيّ[٤] اللُغَويّ، ومولده في ذي الحجّة سنة خمسٍ وستّين وأربعمائة، وأخذ اللغة عن أبي زكريّاء التبريزي، وكان يؤمّ بالمقتفي أمير المؤمنين.

وتوفّي أحمد بن محمّد بن الحسن بن عليّ بن أحمد بن سليمان أبو سعد[٥] بن أبي الفضل الأصفهاني، ومولده سنة ثلاثٍ وستّين وأربعمائة، وروى الحديث الكثير، وكان على سِيرة السَّلَف، كثير الإتّباع للسُّنّة، رحمة الله عليه.

---

(١) المختصر ١٧/٣، تاريخ ابن الوردي ٤٥/٢، عيون التواريخ ٣٩٧/١٢، تاريخ ابن سباط ٧٩/١.

(٢) أنظر عن (بهروز) في: المنتظم ١١٧/١٠ رقم ١٦٨ (٤٦/١٨ رقم ٤١١٦)، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١٨٦/١، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار، ورقة ٣ أ، وعيون التواريخ ٤٠٣/١٢، ٤٠٤، وتاريخ الإسلام (٥٤٠ هـ.) ص ٥٣٤، ٥٣٥ رقم ٤٧٣، والمختصر في أخبار البشر ١٧/٣.

(٣) في (أ) و(ب): «برنقش». والمثبت يتفق مع تاريخ دولة آل سلجوق ١٧٨، وتاريخ الإسلام (٥٤٠ هـ.) ص ٥٥٣، رقم ٥٠٨.

(٤) أنظر عن (الجواليقي) في: تاريخ الإسلام (٥٤٠ هـ.) ص ٥٤٩ ـ٥٥١ رقم ٥٠٥ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته، وكذلك في: تاريخ ابن سباط ٧٩/١، ٨٠.

(٥) في طبعة صادر ١٠٧/١١، والنجوم الزاهرة ٢٧٨/٥، والمثبت عن: تاريخ الإسلام (٥٤٠ هـ) ص ٥٢٩ رقم ٤٦٧، وغيره من المصادر التي حشدتها فيه.